وقفة بنات

سرد شخصي

أصوات - نساء فلسطينيّات مثليّات 2010

أصوات
نساء فلسطينيات مثليات
ASWAT - Palestinian Gay Women

وقفة بنات (2010)
سرد شخصي

Waqfet Banat (2010)
Personal Narrative

إصدار: أصوات - نساء فلسطينيّات مثليّات
تصميم غرافي: *Deek.Sleem*

© جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى 2010
أصوات - نساء فلسطينيّات مثليّات
تلفون: 972 4 866257 +
فاكس: 972 4 8641072 +
خط الدعم: 972 72 2222020 +
aswat@aswatgroup.org
www.aswatgroup.org

تم إصدار هذا الكتاب بدعم من:
OPEN SOCIETY INSTITUTE
& Soros Foundations Network
مؤسّسة المجتمع المفتوح وشبكة مؤسّسات وصندوق سوروس

إهداء:

إلى كلّ مَن ساهمت
وشاركت بصوتَها
وإلى كلّ من لم تستطع إسماع
صوتها حتى الآن
نحنُ نأمل أن نكون قد
استطعنا، ولو قليلاً، إسماعَ
صوتك أنت أيضًا!

المُحتَوى:

مصطـلحـــات أسـاسـية في
الهويــة الجنســية 6
تمهيد 10
المقدمة 12
وأنت نائمة 16
مش باربي 22
حسن صبي 28
"الخطيئة" 34
بين المطرقة والسندان 38
مصادرة هوية 40
عند هبوط الليل 42
من أنا 52
ناعم مثل البنت 54
امرأة أوّلاً 56
هي واليويو 62
أول صفعة 68
ماضي لأجلكم مستقبلي لأجلي 74
أمي وحكي الناس 82
فضوليّة 84
المرة الأولى التي وقعت فيها
بحب امرأة 88
حياتي أنا وهي 92
مصالحة مع الذات 96
مشواري حتى الفخر 102
قطع من أحجية 106
تحرري الجنسي 116
صوت من أصوات 120

بعض من المصطلحات الأساسيّة في الهويّة الجنسيّة

الهويّة الجنسيّة:
تعريف الذات لجنسيّتها في ما يتعلّق بميولها الجنسيّة و/ أو العاطفيّة، إذا كانت تميل لنوع اجتماعي مماثل لنوعها أو مختلف عن نوعها: مثليّة، مغايرة، أم آخر. لا يتعلّق تعريف شخص ما لهوية الجنسية بتعريف هوية الشخص الآخر في العلاقة. كما تتكوّن الهوية الجنسية من خمسة عناصر أساسية، هي: الجنس البيولوجي، النوع الاجتماعي، الدور الاجتماعي، الميول الجنسية والسلوك الجنسي.

الجنس البيولوجي:
يتحدّد الجنس البيولوجي بواسطة الجينات الوراثية والهرمونات. حينما يكون هناك تلاؤم معين بين الجينات الموروثة والهرمونات ينجم عن ذلك الجنس البيولوجيّ الذكري والأنثوي، أو الجنس المختلط.

النوع الاجتماعي/ الهوية الجندرية:
النظرة الموضوعية لدى الذات بتعريفها هل هي رجل أم امرأة، هل هي صاحبة صفات تنسب اجتماعيًا للرجال أم صفات تنسب اجتماعيًا للنساء. عند الأكثريّة هناك تلاؤم بين الجنس البيولوجي الذي يحدّده كل من الجينات، الهرمونات والنوع الاجتماعيّ. إلا أنّ هناك تنافرًا أو عدمَ تلاؤم، في حالات مُعيّنة، بين الجنس البيولوجيّ والنوع الاجتماعيّ، فنجد بالتالي أنّ هناك ذكورًا بيولوجيًا يعرّفون أنفسهم كنساء اجتماعيًا، ونجد أن هناك إناثًا بيولوجيًا يُعرّفون أنفسهم، اجتماعيًا، كرجال. كما أن هناك مَن لا يعرّفون/ يعرّفن أنفسهم/نّ كنساء أو كرجال.

الأنوثة والذكورة:
يعود هذان المصطلحان إلى مجموعة سلوكيّات، شكل جسمانيّ أو اهتمام

اجتماعــي مــا (الملابس والموضة) تُربط، عادةً، بالنســاء (الأنوثــة) أو بالرجال (الذكورة) في المجتمع.

يــرى المُجتمع الذكورة كمرادفــة لما هو رجاليّ، والأنوثــة كمرادفة لما هو نسائيّ. إلا أنّ الذكورة لا تقتصر، بالضرورة، على الميدان الرجالي فقط، كما أنّ الأنوثة لا تقتصر، بالضرورة، على الميدان النســائي، فقط. أي أن هناك نساء مــن الممكن أن يكنّ ذكوريات في كل ما يتعلّق بالســلوك، اللباس، أو الهيئة الخارجيّة، وبالقدر نفسه من الممكن للرجال أن يكونوا أنوثيين من ناحية معيّنة أو مــن نواحٍ عديدة. لا تقتصر الذكورة على الميدان الرجوليّ فحســب، كما أنّ الأنوثة لاً تقتصر على الميدان النســائيّ فحسب، لكون الذكورة أو الأنوثة لا تحدّد النوع البيولوجي، النوع الاجتماعي، أو الميول الجنسيّة عند الإنسان؛ ليس كلّ امــرأة ذكورية هي مثليّــة الجنس، كما أنّه ليس كلّ رجل أنوثيّ هو مثليّ الجنس.

الخروج من "الخزانة " أو الإشهار بالمثلية:

وهــي وصــف وضعــيّ للســيرورة التي مــن خلالها تتبلــور هوية الشــخص الجنســية حتى الوصول إلــى مرحلة قبــول الذات بهُويّتها الجنسية، وإشــهار الهوية الجنسيّة أمام العائلة، الأصدقاء وأحيانًا أمام المجتمع كلّه. يكون الإشهار عــن الذات، في حــالات عدّة، جزئيًا، يحدّد الفرد فيه دوائر الأشــخاص الذين يريد أن يُشهر نفسه أمامهم.

مغايــر الجنس: الميول الجنســية والعاطفية لأبناء أو لبنــات الجنس الآخر، أي ميول رجل إلى مرأة أو ميول مرأة إلى رجل.

مثليّة الجنس:

امرأة تميل إلى النساء جنسيًا و/أو عاطفيًا.

مثليّ الجنس:
رجل يميل إلى الرجال جنسيًّا و/أو عاطفيًّا.

ازدواجي الميول الجنسية:
نساء أو رجال يميلون/يملنَ إلى رجال ونساء. الميول الجنسية المزدوجة لا تُعرّف كميول جنسية مثلية.

رهاب المثليّة:
الخوف والاشمئزاز والمُنافرة من مثليّ الجنس أو مزدوج/ة الميول الجنسيّة. تزداد حدّة هذا التصرّف تجاه المثليين حينما يصبح الغضب، النقمة والكره أساسًا في اضطهاد المثليين. في العديد من الحالات يؤدّي العنف الرمزيّ الذي يحمله مفهوم "رهاب المثليّة" للمثليين إلى عنف جسدي.

مغيّرو/ات النوع الاجتماعي:
لا تحدّد الهويةُ وفق الجنس البيولوجي، أو وفق نظرة المجتمع للذات (رجل أم امرأة) فحسب، وإنّما حسب ما تشعر به الذات تجاهَ نفسها. فمن الممكن لرجل أن يتأنّث اجتماعيًّا، أو لأمرأة أن تتذكّر اجتماعيًّا، وهذا لا يتعلّق بالضرورة بميولهما الجنسيّة أو برغبتهما في تغيير نوعهما البيولوجيّ.

مغيّرو/ات الجنس البيولوجيّ:
يكون هذا حينما تشعر النساء أنهنّ رجالٌ ويشعر الرجال أنّهم نساء. يتّجه مغايرو الجنس لتغيير الجنس من خلال العلاج الهرمونيّ أو من خلال عملية جراحية، في حين قبل أو بعد تغيير الجنس يكون/تكون مغاير/ة الجنس أو مزدوج/ة الجنس أو مثلي/ة الجنس.

أ–ذ: مغيّرات/مغيّرو الجنس من أنثى إلى ذكر.

ذ–أ: مغيّرات/مغيّرو الجنس من ذكر إلى أنثى.

لمزيد من المصطلحات يمكنك زيارة موقع اصوات على شبكة الانترنت
www.aswatgroup.org

تمهيد:

تستعمل "وقفة بنات" باللغة العامية المتداولة للإشارة إلى تكاتف ونهوض النساء بذاتهنّ وإقدامهنّ على مواقف شجاعة. تصدر أصوات - نساء فلسطينيات مثليات، كتابها الثاني من القصص القصيرة. استنبطت هذه النشرة المقدمة من قبل مثليات فلسطينيات، متحررات الجنس، مغيرات، متسائلات ومزدوجات الجنس من حاجتنا لتبادل القصص والحكايا الخاصة، من حاجتنا للحديث عن نضالنا، ومشاركة الآخرين بها، خاصة من هم في بدايات نضالهم مع الدين، الجنسانية، الميول الجنسية، التحرر، المواقف والصورة الذاتية للجسد.

قمنا بنشر دعوة من على موقعنا في شبكة الإنترنت لأعضاء المجموعة وأصدقائها لتقديم ما عندهم من كنوز معرفة وخبرة، كان الإقبال رائعًا فتم إرسال قصص وحكايات عديدة بلغات مختلفة، منها ما هو بالعربية والإنكليزية وأخرى باللغة العبرية. وفي حين اخترنا إصدار أول كتاب لنا باللغة العربية، فقد اخترنا إصدار "وقفة بنات" باللغتين الإنكليزية والعربية، من أجل توسيع دائرة وصولنا إلى المجتمع العربي في فلسطين وإلى المجتمع الدولي حول العالم. إن القصص والحكايا المطروحة من خلال هذه النشرة هي عالمية في طبيعتها، يمكنها أن تكون معبرة وملهمة لفئات مهمشة أخرى في كافة أصقاع الأرض. كلنا أمل في أن تجدي في هذه المجموعة من القصص ما قد يلهمك، يعزّزك، يمدّك بالدعم والقوة.

مقَدّمَة

أليس من المثير للدهشة أن نرى كيف يمكن لجانب واحد من أنفسنا أن يثير الجدل، أن يتطلب السرية، أن يواجه الصعوبات، الرفض وعدم القبول.

يبدو وكأننا نتحوّل قسـرًا ضد أنفسنا، ضد أسـرنا ومجتمعنا، لأننا ببساطة مختلفين عن الآخرين، ألن يتمّ تقبلنا أبدًا على حالنا، كما نحن؟ هل يجعلنا اختلافنا ألدّ أعداء أنفسنا؟ أليس هو السبب الذي يدعونا لارتكاب محاولة قتل لذاتنـا، مرة تلو الأخرى؟ هل مـن الممكن التوفيق بين كل جانب من جوانب هويتنا السـابقة مع هويتنا الحديثة المكتشـفة؟ هل ينبغي علينا توقع العثور على الحبّ غير المشـروط؟ هل نحن حقًّا محبوبـون مهما كنّا، ومهما امتلكنا أو انتقصنا. ألا يأتي الحب بكل الأحوال مع بعض الشـروط المسبقة وللجميع؟

اليـوم وللمـرة الثانية، تتخذ النسـاء العربيات قرار عدم التـزام الصمت بعد؛ تختار الحديث عن أكثر الأوقات والأشياء حميمية وتحديًا لهنّ، يتحدثن عن مسـيرات خروجهن إلى العائلة، إلى المجتمع وعلى الأخصّ إلى أنفسـهنّ. ولدت فكرة كتابة هذه القصص من حاجتنا إلى الكلام والمشـاركة وتوثيق تجارب حياتنا كجزء من مسـيرة التمكين الذاتي لأنفسـنا كأفـراد وكمجموعة. قصصنـا هـذه لا تعرض فقط من منظور ديني، سياسـي ، أبوي واجتماعي، بل أيضًا من منظور التجربة الشخصية الداخلية والصراع مع هويّتنا الجندرية وتوجّهنا الجنسي.

علـى الرغم مـن أن صبغة الحزن والألـم والمعاناة والتحدّيـات تصبغ الغالبية السـاحقة مـن قصصنا، فما زالت، أو ربما بسـبب ذلك، تظهـر هذه القصص فخرنا العميق، الفخر الذي نستشـعره في عالم ليس الحرية فيه حقًّا ممنوحًا من تلقاء نفسه، في عالم يتحدّى فيه أصدقاؤنا وأسرنا ومجتمعنا أجزاء هامة من وجودنا وكياننا.

سـواء أكانت الكاتبات قد خرجن بالكامل أو بشكل جزئيّ أو لم يخرجن بعد مـن الخزانة، فإنّ كل قصة من هذه القصص توفّر للمجتمع المثلي وللمجتمع ككل، وخصوصًا المجتمع العربي، منظورًا آخر لفهم الهوية الجندرية والتوجّه الجنسـي. تؤكّـد هذه القصص الحاجة الأساسـية لكلّ منا فـي الانتماء، في الدعم وفي تقبّلنا وحبّنا لَمن نحن في الواقع، من أجل كل جانب من جوانب هويّتنا، بما في ذلك جنوسـتنا، دون أي تمويه، دون" حياة مزدوجة "، ودون الكذب بشأن توجّهنا الجنسي وهويّتنا الجندرية.

ليـس "وقفة بنات" مجرّد توثيق لنضالنا ولنضال الفئات المهمّشـة في المجتمع الأبوي المغاير[1]. بل هو معدّ، أيضًا، لفتح نافذة من الأمل لأولئك الذين يتساءلون حول جنسـانيّتهم وميولهم الجنسـية وهويّتهم الجندرية. ورسالة لَمن يظنون أنهـم وحدهـم أو غيـر طبيعيين في عالـم يدين كل ما هو خـارج حدود خطّها المجتمع الحديـث والديانات الثـلاث وتوقّعات الآبـاء لإتبـاع المعايير الاجتماعية المقبولة.

يولّد القهر والسـلب والظلم في الكثير من الأحيان قدرتنا على ابتكار وسـائل للنضـال وللتمكين الذاتي. تحتجّ كاتباتنا من خلال هذه القصص على القمع المسـتمر الذي تواجهنه، فتسـتثمرن الكتابة كأداة في نضالهم ضد التمييز. يمدّ المجتمع المثلي بأطيافه المختلفة يده إلى المجتمع العام لمساعدته على تبديد الجهل الكبير وتوسيع نطاق معرفة وموارد وخبرات ونضالات المجتمع المثلي.

تعكس "وقفة بنات" التوتّر القائم ما بين الحبّ والاعتزاز بالذات، الفخر، الأعراف الاجتماعية، الدين، الهوية السياسية، الجنوسية والمجتمع. "وقفة بنات" هو أيضا نتاج تجارب حياة واستكشافات ساعدت على تشكيلنا وصقلنا.
تتمثّل فرادة هذه النشـرة في السـرد الشـخصي والذاتي للكاتبات. لعلّ كل

1 مزيج من التسلط الذكوري والتسلط المغاير

قراءة لهذه القصص تشعر شـخصًا واحدًا على الأقلّ بشراكة المصير وتحرّره من تسـلط شـهور الوحدة عليه. لعلّ كل قراءة تكسـب الأصدقـاء، الأحبّة، الآباء والأمّهات، الأشـّقاء والشقيقات، والشركاء والشريكات فهمًا أعمق للمثلية العربيـة. لعلّهـا تثيـر تعاطف وتفهـم واعتـراف المجتمع العربـي في قضايا وصراعات ونضالات المجتمع المثلي.

في "وقفة البنات" نقول لكلّ من تؤمن ويؤمن، لسـبب أو لآخر، بأنّهم ليسـوا "القاعدة" وإنّما الاستثناء. فعلى الرغم من كافة ما واجهناه في حياتنا اليومية، لا نزال عند موقفنا الثابت، في الطليعة أو في الخلف، في ضرورة خلق مجتمع شـامل للجميع. ندعـم بعضنا بعضًا وجميع من هم حولنـا ونقول: "نعم، أنا مختلفة، ونعم، أنا فخورة. أخطو إلى الأمام متلهّفة لاستكشـاف ومواجهة كل ما هو آتٍ في رحلة الحياة المثلية".

وأنتِ نائمة..

استنفَذتْ طاقتي واستنفذتُ طاقتها، قبلتني برقة واجتاحنا النعاس، وبجزيء ATP [1] متمرد استطعت ان اهمس لها (كعادتي): "بحبِك.. اعبطيني وإحكيلي قصة".. و لفرط حبها لي، ولو كانت تنازع النعاس أو حتى الموت (كما يخيل لي أحيانا) كانت ستنتصر لتحدثني تلك القصة او النكتة أو أي شيء كي انعم بنوم هادئ، كي أكون راضية. لكني شَرّعت نعاسها وتعبها في تلك الليلة، لاني كنتُ مَن أدى إلى ضعضعة عضلاتها وإتعاب نفسيتها عندما رفضت الذهاب الى حفلة اضطر فيها أن أكون غيري، ارقص «معه»، أن ترقص هي «معه» وان اكبت رغبتي في الرقص معها وتقبيلها في وسط الحلبة. ضحيت من اجلها بعد أن أكّدت لي "رَح ننبسط"، وحقا >إنبسطنا< وتعبنا. كان الشيء الذي حاولت ان ترويه لي عبارةً عن رتل من الكلمات الغير مفهومة وغير موجودة أصلا، قبلتها وقلت:" أنا بدي احكيلك قصة" نظرت إليها «رغم الظلمة» استطعت رؤية تلك الابتسامة التي لطالما أشعلت فتيل رغباتي وأسرعت نبضات قلبي. ارتخت كأنني خلصتها من مصيبة، اخذتُ في تأدية دورها (تخيلت نفسي على منصة اروي قصة رديئة وجمهور وقح يرميني بالبندورة والشمام والبطيخ وأحجام كبيرة من الفاكهة) ثم خطر لي ان أكون رومانسية (حتى وهي في حلمها السابع) واروي قصة مألوفة لها قليلا:

في الابتدائية، كنتِ الفتاة المحبوبة الطائشة التي تحب الأغاني الأجنبية ومولعة بمغنية.. (طيبَ طيب مش رح اذكرك).. وكنتُ أنا الفتاة الوحيدة بعض الشيء و"العاقلة". بغضتك في الصغر.. أصلا، لم تكن معرفتي بك تتعدى اللمحات في ساحة المدرسة. في الإعدادية، اضطررت إلى الاصطدام بكِ بعد أن أعلنت قائمة طلاب الصف أننا بنات الصف الواحد. عندها شجعت نفسي على الانخراط، وبات في وسعي أن "اسلم عليكِ"، مرت السنة الأولى بالإعدادية تتأرجح علاقتنا بين السطحية وبين اللاعلاقة- نتبادل فيها سلام وأحاديث

1 ثلاثي فوسفات الادينوسين: مصدر مباشر للطاقة الحركية في الجسم

سريعة مقتضبة.. في السنة الثانية طرأ تحسن طفيف؛ تبادلنا أحاديث مثيرة أحيانا، أغاني جميلة، سـر أو سرين. في السـنـة الثالثة بدأت صداقة حقيقية، تَعَلـق ومحبة...في الصف العاشـر تعدت مشـاعري نفسـها. بعد شـهرين من التخبط والشك، بعد تلك القبلة في المطر(هل تذكرين؟ عندما قلتِ:"بشوفك بكرا بالمدرسـة" ووضعتِ قبلة دافئة على خدي وسـط البرد والمطر) عندها.. عندها تأكدت. في السادسـة عشر (قبل ثلاث سنوات تقريبا) اتضحت معالم شـخصيتي، وهمسـت لنفسـي:"يا الهي! لزبيان؟" .. لم يحتوي قاموسي وقتها الكلمة "مثلية". لم اقل سري لأحد، لذلك دبت بي الكآبة، وحزنت. ليس بسبب اكتشـافي الجديد، بل لانني كنت احبك بطريقة لا يمكنني تفسيرها، ماذا اقـول؟ هل اقول لكِ انني أحب الحيـاة فقط عندما امضيها معك؟ او انني أفكر بـك 24 / 7 ؟ -هذا ما أردته في البداية عندما كنت إلى حد ما "بريئة". هل تذكرين ذلك اليوم، عندما بحت لك بسـري؟ عندمـا اعترفت لك بحبي؟ (طبعا تذكريـن) وقتها قلت لي انك لم تتفاجئي لانـي "مهدت لك الطريق" وانـك لـم تعلمي اني "جريئة هكـذا ". حبيبتي، قد أفاجئـك لكني لم أكن جريئـة، كنـت غارقة في حبك. لا اذكر كيف، ربمـا محض صدفة، ربما كان الامـر مدبرا من جهتي لكنك وقعت في حبـي ايضا. كنت مصرة انك لسـت " مثلية" (وبعدك)، مررتِ بعـدة مراحل، ففي البداية كنت مقتنعة ان حبنـا مميز، مميز جدا، ليس حب مثلي ولا حب اخوي، لكنه مميز(لا بد انك تضحكـين مثلي الان) بعدها تمنيتِ أن تجدي شـابا يحمل صفاتي وملامحي.. بعد ذلك تمنيتِ لو كنت أنا شـاباً، وكنـا نضحك عندما تقولي "مع عضو". (اعرف اعرف انـك الان تعتذرين لي، وتحبينني لانني ›انـا‹ تحبينني أنثى).

رغم نومها العميق، ورغبتي في سرد تفاصيل قصتنا إلا أنني اخترت أن اروي الجزء الاكثر تراجيدية(لحد هلق) بطريقة مختلفة، باشرت بطرح الأسئلة:

ماذا برأيك كان سيحصل لو لم تقرروا فجأة أن تهاجروا البلاد؟ هل كان سيتغير شيء؟ هل ستقولين لي عندها " انا مش هيك" وتنهي العلاقة ؟ أو "بدّيش أكون معكِ" ؟ ..لا اعرف، فقط اعرف انني تعاطفت مع الأشخاص المتهمين ب "A Crime of Passion".

المهم، مشروع الهجرة فشل بعد سنة. وعدتِ إلى البلاد، لم يخلو الأمر من التوتر، لكنني أحببتك. صرتِ تؤمنين بالكارما، وظننتِ بعدها انني انتقم منك، أنسيتِ شيئا؟ ماذا عن قلبي؟.. لكنكي ترفضين، إلا ماذا تريدين ؟ قلت:؟ أحببتك..ناقشنا علاقتنا قبل ستة اشهر open relationship-... open for opportunities... حسنا فليكن.. (كإنها بتفرق) وفقط قبل أسبوع (ولأسباب أمنية) "سكّرناها": خلص! بعلاقة، حبيبتي، حبيبتِك ومش.. "open" لحدا!

اعرف ان نظريتك تقول: "عندما نكتب قصتنا، نتخلص منها" .. لكن، هل تذكرين عندما اقترحتُ عليكِ أن تقرأي ثلاثية أحلام مستغانمي، في السادسة عشر؟ وقلت لي: "ياريت أحلام مستغانمي تكتب قصتنا"..أما زلت ترغبين أن أصبح كاتبة؟ و"أطلع من الخزانة" بعد الشهرة؟ (قصتنا مش رح تنتهي هون، ما زلنا في نهاية الثامنة عشر).

احتجت إلى رشفت مياه، تعبت، وخدر النعاس لساني..عانقتها بيديّ ورجليّ، قبلت خديها وسحبت طرف الغطاء عنها(بعد احتلالها الكامل له) .. همست بأذنها: " راحت عليكِ القصة" .. وأخيراً! علامة على أنها ما زالت حية- تَحركت قليلا، أمسكت يدي وقالت بصوتٍ تغمره البحة: "بتحككيلي إياها بكرا"..

إبتسمتُ قليلا

وتمنيت أن احكيها، وهي نائمة هكذا بحضني، بعد خمســـين وســـبعين ومائة سنة أيضا..

2009

مش باربي

في الحقيقة كل ما أردته
هو أن تكون مثليتي شرعية

حسن صبي

لديهم العديد من
الأسباب ليفخروا بي

مش باربي

" شـو بدك لعيد ميلادك؟" سـألت أمي، همسـت أختي في أذني "قوليلها بيت باربي". كنت في السادسـة أو السـابعة من عمري، لـم أرد بيت باربي، أردت كرة قدم ، ماذا عسـاني افعل ببيت باربـي!! كرهت الباربي، رأيت بها لعبة مملة وغبية. طالما تنكلت للعب الباربي التابعة لأخواتي، كنت أقص شعرهن وملابسـهن وارسم على وجوههن، وحتى أني خربت بيت الباربي الذي اشتراه أهلي لأخواتي. كرهته، كان ورديُّ اللون إلى حد لا يطاق.

شـعرت في طفولتـي اختلافي عن باقي البنات، فضلـت اللعب مع الأولاد في الحـارة، فضلت أن البس كما يلبسـون وان أتصرف كما يتصرفون. أحببت لعب كرة القدم، كرة السلة، العاب الحروب والسيارات وحتى التصارع، لم أُعِر اهتمامـا لاحتمال إصابتي، بل على العكس رغبت بذلك، كنت اشـعر حينها بأنني قوية، وانه بإمكاني التهام العالم.

كانت لي في الصف الثالث الابتدائي صديقة كنت أُحضِر لها الهدايا بشـكل دائم، كنت اشـعر بشـيء ما اتجاهها، لم اعرف حينها ما هي هذه المشـاعر. كانت تتلبسني الغيرة لرؤيتها تلعب مع فتاة أخرى. أردتها لي وحدي.

أما في الصف التاسـع، كنت مفتونة بمعلمة اللغة الانجليزية، لم افهم ماهية مشاعري نحوها أيضا. شغلني الموضوع وأخذت بالتساؤل: هل أنا الوحيدة التي تشـعر هكذا؟ هل هذا الشعور طبيعي؟ هل يمكن أن تكون فتيات أخريات في الصف تشعر كما اشعر؟ لا اعرف. أعرف فقط أني شعرت في حاجة دائمة إلى استرضائها ونيل استحسانها، أردت أن أكون أفضل طالبة في الصف والحصول على أعلى علامة في الصف من اجلها.

ما جعلني اشعر بان كل شيء على ما يرام، وبأنه لم يتغير شيء هو مشاركة

اعز صديقة لي منذ كنا في عامنا الخامس أهوائي، لعبنا دائما بالعاب صبية، كانــت لعبتنا المفضلة هي كرة القدم. كنت قد طلبت من أمي الدخول إلى منتخب كرة القدم في المدرســة إلا أنها رفضت قائلة إنها لعبة يلعبها الصبيان لا مكان للفتيات فيها، ومؤكد ليس على هذا القدر من الحماس للعبة.

في الصف العاشــر كنت في بلبلة، بدأت "بمصاحبــة" الفتيان، جُذِبتُ إليهم ليس إلا، لم أفكر في ابعد من ذلك. وفي الصف الحادي عشر كان لي صاحب اســتماتت عليه جميع الفتيات، أمضينا ســنة مع بعضنا. لكنني شعرت وقتها بشيء ما ينقصني، لم استطع أن احدد ما هو.

كانت جميــع الفتيات تتحدث عن رجفة الحب ومتعتها، كنت أظنها مجرد أسطورة، اختراع شخص ما. لم اعرف ماذا تعني؟ ولماذا لم أشعر بهذه الأحاسيس معه؟ هل هنالك عُطَبُ ما بي؟

أتذكــر قبل تخرجي بفترة حديــث دار بيني وبين صديقات لي، بينهن اعز صديقة لي، تحدثنا في حينها عن أناس نراها جميلة، وإذ بها تقول أن انجلينا جولي رائعة الجمال! وافقتها الرأي وكنت في غاية الســعادة لانجذابها لفتاة. كانت قد سافرت هذه الصديقة إلى خارج البلاد. وأخبرتني أنها قامت بتقبيل فتاة هناك، وأنها استمتعت بذلك. غرت كثيرا واردت أن أجرب ذلك بنفسي. قد عرفنا أن كل منا تميل ميل الأخرى، رغم أننا لم نذكر أو نتحدث يوما عن الموضوع. كان ذلك معزيا، أن يكون اقرب الناس إليك مختلف مثلك.

ما زلــت اذكر حبي الأول، كانت بالطبع فتــاة. بل وكانت صديقة إحدى أصدقائــي القريبين. كان قد اخبرني انه يخرج مع فتاة وأنها مزدوجة الميول الجنســي. تحمست لحقيقة وجود فتيــات عربيات أخريات على هذا النحو.

حددنـــا موعد للخروج ســوية، اذكر كيف اســتلبت قلبي لحظة وقع نظري عليهـــا، كـانت جميلة للغاية، صاحبة أعين زرقاء ســاحرة. لم اســتطع النظر فـــي عيناها. بدأنـــا بالاقتراب من بعض، تحدثنا على الهاتـــف والتقينا كثيرا. أحببتها، لكن لم استطع أن أبوح لها بذلك. حتى أتى يوم اعترفت لي هي بحبها لي وبأنها تريدني. كان هذا اسعد يوم في حياتي. قمنا بتقبيل بعضنا وها هي الرجفة التي تحدثن عنها طويلا! يا للشــعور الرائع. ملمســها، رائحتها، حديثها، شعرها، جسدها. كل ما فيها أصابني بالجنون. أردت أن أراها كل يوم.

بقينا معا لمدة ســنة حتى ضبطتنا أمها، وقامت بتهديدي بإخبار والدي بالأمر وبرفع دعوى قضائية علي، فقد كنت حينها ابنه الثامنة عشر ونصف السنة وكانت هي في عامها السابع عشر. خفت كثيرا، لم أرد حتى أن أفكر بما قد يحصل إن علم والدي بالأمر.

خفت كثيرا من أمها. أمرتني بالابتعاد عنها، أخبرتها أنني أحب ابنتها واني لا استطيع الابتعاد عنها، فقالت لي أنها تفضل أن تكون ابنتها ميتة على أن تكون مثليـــة، غضبت للغاية، قلـــت لها أنها من المفروض أن تحبها بكل ثمن، صرخت علي قائلة أن ليس هذا طبيعيا وأننا بحاجة للتخلص من هذا الأمر.

قطعنـــا علاقتنا ببعض، كرهـــت هي أمها وأنا كذلك. كيف لها أن تفعل ما فعلت بأي حق وان تقول ما قالت!. كان الفراق صعبا جدا، لم اســتطع البقاء فـــي البيت بعد ذلك. كنت بحاجة إلى الخروج من هناك. أردت أن أعيش في تـــل أبيب، رأيت في التلفاز أن الحياة هناك أســهل للمثليـــات والمثليين. كنت بحاجـــة إلى الوصـــول إلى تل أبيب. وفكرت أن الطريقـــة الوحيدة للذهاب إلى هناك فقط عن طريق التعذر بالدراســـة. اخترت موضوع دراســـتي، تم قبولي للجامعة وتركت البيت متجهة إلى تل أبيب.

كنـــت قلقة في البداية من أن لا يتقبلونـــي لأني عربية، حافظت على بعد بينـــي وبين الناس لظني إنهم ســـيكرهونني في نهاية المطـــاف، إن عرفوا أني عربيـــة. ومـــن تريد أن تكون مـــع عربية.. غباء... اعـــرف. أدركت لاحقا أن النـــاس تـــرى فيك ما تقدميه أنت عن نفســـك، فإن أظهـــرت فخرك بمن أنت واعتـــزازك بذاتك وثقتك بنفســـك ســـتحترمك الناس وتتقبلـــك. وان كنت تخجلين أو تشعرين بالخزي ستعاملك الناس بعدم الاحترام. يجب على الإنسان أن يكون صادقا ومتصالحا مع نفسه.

انتقلـــت صديقتـــي معي إلى تل أبيـــب ، كنا قد عزمنا علـــى الذهاب إلى بار "مينيرفا" وهو بار شـــهير للمثليات في تل أبيب. لن أنســـى شـــعوري في ذلك اليوم، جلسنا هنالك وشعرنا وكأننا في بيتنا، بيت تُقَّبِّلُ فيه الفتيات بعضهن البعض بلا حرج أو خوف، شعرت بالسعادة.
بدأت بعد ذلك بالذهاب إلى أماكن خاصة بالمثليات والمثليين، شعرت بالانتماء والراحة، البس ما أشاء، أتصرف كيفما أشاء وافعل ما بدى لي.

اعترف إنني بلغت الثلاث والعشـــرين عاما وما زلت لا ادري ماذا افعل. كل ما أريد هو "الخروج مـــن الخزانة" أمام عائلتي. لكنني غير قادرة على فعل ذلك، ليس من الســـهل القيام بذلك في مجتمعنا. أجد نفســـي أحيانا أتمنى أن تكون هـــذه مرحلة أمُر بهـــا وقد تنتهي... لا ليس ذلك صحيحا، فـــلا أريد أن أتغير، أحب نفسي هكذا كما أنا.

أهم شيء عند أبي هو الشرف، هو شخص طاعن في السن، لا ادري ما يمكن أن يحـــدث له إن عرف، لن يكون قادرا على فهم الأمر. "عندك صاحب؟"، "ايمتى رح تتزوجـــي؟"، "بس انت الوحيدة فـــي العيلة يلي بعدها ما تزوجت؟ لاقيلك حدى عاد" ..خلص..يكفي! اتركوني بحالي.

تضايقني أمي بمحاولاتها الدائمة في التدخل بما يجب علي أن البسه وكيف يجـدر بي التصرف، يضايقني تجولي في شـوارع الناصرة، بلد مولدي، ونظر الناس إلي كأنني مخلوق من الفضاء الخارجي.

أرى اليوم نفسي أكثر تسامحا وتقبلا لكل هذا. افخر باختلافي، أحب حقيقة أنـي اختلف عن الناس. بـل واعتقد انه لفظيع أن يكون المـرء عاديا، انه لأمر ممل. إني على يقين من انه وفي يوم ما سأكون على قدر كاف من الشجاعة أو السـكر لإخبار أهلي عن مثليتي، لا انوي علـى العيش في أكاذيب. انتظر فقط أن تأتي من تستحق خروجي من الخزانة.

لا يوجد عندي سـبب للتذمر، انتمي إلى أروع عائلة في الدنيا، لم يعودوا إلى ذكر الأعراس وإنجاب الأطفال وغيرها.

قد تقبلـوا اختلافي عن الفتيـات الأخريات. لديهم العديد من الأسـباب ليفخروا بي.

الدخول إلى عالم " أصوات" سـاعدني جدا، وواسـتني حقيقة وجود أخريات مثلي. كل كانت تتحدث عن حياتها، مخاوفها وتجاربها. سعدت لكوني جزءا من هذه المجموعة، ربما تتاح لي الفرصة مسـتقبلا لمسـاعدة مثليات أخريات، خاصة العربيات منهن. أريد أن أقول لهن بأنه ليس هنالك ما يدعوهن للخجل، وإنما الفخر والاعتزاز باسـتثنائيتهن وفرادتهـن واختلافهن عن باقي الناس، عن المعتاد والمتبع.

أمـا الآن فانا أعيش اللحظة، أعيش الحاضر. يطيب لي ذلك. لكل منا الحق في ذلك. لا أن تخجل بما هي، بمشـاعرها، ليس هذا امرا اخترناه لأنفسـنا، المثلية ليست بالشتيمة وإنما هي أسلوب حياة مميز.

حسن صبي

عرفت دائما بان هنالك شيء مختلف بي، لم أكن يوما مثل باقي الفتيات، لم أدرك حينها السبب وراء ذلك ولم املك تسميةً لهذا الاختلاف.
عندما كنت طفلة، كنت أفضل العاب الأولاد دائما. كانت أمي تتوسـل إلي لألعـب بدمية الباربي أو بأي دمية أخرى، حتى أنها جلبت لي يوما بيت باربي ضخم مع الكثير من الدمى لإغرائي بها، بيت حلمت بنات أخريات بامتلاكه، لكني ورغم ذلك فضلت السيارات التي تشغل بالروموت كونترول، الدراجات، السكيت بورد ولعب كرة القدم أو كرة السلة مع الأولاد في حارتنا.
خلال أعوام مراهقتي كنت حسـن صبي بالكامل، ارتديت ملابس فضفاضة، تصرفـت تماما كالفتيان. كنت أشـعر بأنـه كان يجب أن أولد شـابا، لم أستطع أن أفهم السـبب من وراء ذلك، ففي الواقع أحببت كوني فتاة، ولكني شعرت بأن شيئا ما في داخلي غريب وليس بالاعتيادي.
أتذكر عند نشـأتي، كنت العب أنا وصديقاتي الفتيات "بيت بيوت"، كنت دائمـا العب دور "الأب" (لأنه في "البيت بيوت" لا يصلح أن يكون هناك أم وأم) وكنـا نقوم بتقبيل بعضنا. كنت قد نسـيت ذلك تمامـا حتى بدأت أدرك أشـياء عن نفسـي. في مراهقتي كنت أنظر إلى غيري من الفتيات بطريقة لم تنظر فيها الفتيات إلى بعضهن البعض. كنت أشـعر بالحرج والارتباك في القرب من الفتيات. التمست لنفسي الأعذار وحاولت أن اقنع نفسي بأنني أردت فقـط أن أكـون مثل تلك الفتيات الجميلة والمقبولة. أدرك الآن أنها لم تكن إلا الرغبة في أن أكون معهم وليس مثلهن.
كانـت جميع رفيقاتي البنات تتباهى بأصحابها الأولاد في المدرسـة الثانوية، أمـا أنا فكنت فخورة لعدم وجود صاحب لي، كنت ابرر ذلك بالقول انه لأمر سـخيف وبأنني ما زلت صغيرة السن على هذا الأمر. في الحقيقة لم افهم لماذا شـعرت بما شـعرت أو المعنى من وراء ذلك. كنت مجرد فتاة "حسـن صبي"، تحـب القيام بما يقوم بـه البنين وتتمنى لـو كانت ولدا. فقـط، بعد بضع سنوات، عندما كان لي أول افتتان حقيقي بفتاة، بدأت كل هذه الأمور تقع

في أمكنتها وبدأت تتكون على نحو منطقي وواضح.

عرفـت دائما أنني مثليـة، لكن لم أكن أعرف كيف أشـرح ذلك، أو كيف يسـمى أو يطلق على هذا الشـيء، فجـاء اعترافي لنفسـي بمثليتي في وقت متأخر نسـبيا. كانت تلك سنتي الأخيرة في المدرسـة الثانوية حين التقيت بفتاة عن طريق صديق مشـترك، كانت فتاة جامعية تكبرني بعام، وكما الفتيات الأخريات، كانت تربطنا علاقة صداقة بحتة. كان هنالك "كليك" بيننـا منذ أول مرة تحدثنا فيها إلى بعضنا، بعدها بدأنا بالحديث على الهاتف طوال الليل، والتكاتب بالرسائل النصية طوال النهار.

كنـت أعرف كل مـا يمكن أن يعرف عنها، وكانـت تعرف كل ما يمكن أن يعرف عني، ما عدا أهم أمر. وصلت إلى نقطة لم أسـتطع فيها الاسـتمرار بالكذب على نفسـي بعد. اعرف أن ما شـعرت به آنذاك اتجاهها ليست مشاعر من المفروض بي أن أحس بها اتجاه فتاة، لم أكن أعرف ماهية هذه المشـاعر، لذلك أطلقت عليها فقط لقب "اعز صديقاتي". كنا نقول "أنا أحبك" لبعضها البعض كل وقت، لم انطق بهذا اللفظ لأحد من قبل، ولكنه كان ينساب من فمي إليها تلقائيا دون تفكير.

بعـد مرور فترة من الزمن، بدأت تتصرف على نحو لم أسـتطع فهمه وبدأت بالانجـراف بعيـدا عني حتى اختفت مـن حياتي تماما. كانـت قد احتلت مسـاحة كبيرة في حياتـي، وعندما اختفت تركت خلفهـا فجوة رهيبة. كانت هذه المرة تختلف عن غيرها من المرات، كان هنالك شيء لم أستطع أن أشرح ماهيته. شيء أعرف الآن انه انكسار قلب. على أية حال، بعد أن اختفت، بدأت أفكر في بعض الأمور وابحث مع نفسـي في حقيقة مشاعري وحبي لها. ذعرت من الفكرة، دفع بي هذا الخوف إلى أن أقوم بعمل الشـيء الوحيد الذي كنت أعرف انه قد يخلصني من هذه الفكرة، ف"صاحبت" شاباً. حسبت أنه وان كان لـدي صاحب فإن ذلك يعني بالضرورة بانـي عادية، وهكذا بقيت مع صاحبي لمدة سـنة تقريبا. لم يكن ذلك شـعورا لطيفا حين كان يمسـك

بيدي أو يقبلني، لكني لم اعترف بذلك لنفسـي، واقتنعت نفسـي على أنني استمتع بذلك.
بعد بضعة أشهر، عادت تلك الفتاة إلى حياتي بشكل ما، لا أستطيع أن أتذكر كيف. أخبرتني أنها كانت على علاقة مع فتاة أخرى، جن جنوني وكنت أستشيط غضبا ولكنني حرصت على أن لا أُظهر ذلك لها، لا يرجع هذا الغضب إلى اشـمئزازي وإنما لغيـرة اعترتني. كان ذلك بمثابة دعوة لي لليقظة. بعـد مرور بعض الوقت، أنهيت علاقتي مع صاحبي، لم اعد أتمكن من الكذب على نفسـي بعد، ومن ثم سمحت لنفسـي بالدخول في علاقة مع فتاة لأبعد مـن مجرد صداقة، لم يكـن أجمل وأصح من هذا الشـعور. على الأقل فهمت وأخيرا هذه المشـاعر التي كانت تراودني طيلة تلك السـنوات. وكانت تلك هـي المرحلة التي خرجت بها أمام اعز صديقاتي التي دعمتني وسـاعدت في جعل عملية الخروج أسهل بكثير.
مررت بمسـيرة طويلة في محاولتي لتقبل نفسـي، لتحديـد هويتي ومن أنا. ظننت في البداية أنها مجرد تجارب، ثم بدأت أقول أني ثنائية الجنس، ومن ثم اعترفت بأنني انجذب للفتيات أكثر، وفي نهاية الأمر عرّفت نفسـي "مثليه". كلمـا كبرت ونضجت فهمـت أن لا معنى للتسـميات والتعريفات. كل ما أعرفـه هو أنـه منذ ذلك الحين تقبلت من أنا وشـاركت حياتـي مع فتيات أحببتهن وقابلت العديد من الأشخاص الرائعين الذين كانوا مثلي.
الاعتراف لنفسي بمثليتي كان أصعب شيء اضطررت القيام به. كان أصعب مـن الخـروج للآخرين. قمت باختيـار بضعة أصدقاء مقربـين جدا للخروج إليهـم، كانوا جميعهم متفهمين وداعمـين. من الجميل أن أكون قادرةً على تبادل قصص الحب في حياتي مع أصدقائي مثلما يفعلون هم معي. ولكني ما زلت أسـمع أناس مقربين مني (بما في ذلك الأسـرة) يعربون عن اشمئزازهم من مثليي الجنس، غير مدركين أنني واحدة منهم. اسـمح لنفسـي بالتعبير الصريـح عن رأيي وإيماني، لكنني احرص فـي نفس الوقت على أن لا يعرفوا

عني. وأتساءل كيف ستكون ردة فعلهم عندما يكتشفون ذلك!

والاهــم من كل هذا معرفتي باني لســت وحيدة، وباني وفــي نهاية المطاف تمكنت من فهم الكثيــر من الأمور التي أزعجتني عندما كنت صغيرة، مثل الرغبة في أن أكون ولدا، ***وانه وفي الحقيقــة كل ما أردتــــه هو أن تكون مثليتي شرعية*** وان لا يكون هنالك ضير من انجذابي إلى الفتيات.

عند
هبوط الليل

"ألخطيئة"

بين
المطرقة
والسندان

مصادرة
هوية

"ألخطيئة"

طُلب مني كتابة قصة حياتي، لست ماهرة في استعمال الكلمات.
هذَه أنا وهذا ما كان له أثر في حياتي حتى الآن:

ابلغ من العمر اثنتان وعشرون عاما، أعيش وادرس في تل أبيب. فقدت والدي عندما كنت في الثانية عشر من العمر، حوالي هذا الوقت بدأت في التشكيك في جنسانيتي. كان ذلك وقتا عصيبا. تلاشى في النهاية ألم فقدان أبي. وأما حقيقة انجذابي للفتيات فلم تختفي مهما حاولت جاهدة لتحقيق ذلك.

كان لدي العديد من الأصدقاء المسيحيين، لم أُعر مسألة الدين اهتماما كبيرا. نشأت في عائلة متدينة وذهبت إلى مدرسة دينية، فكان من الطبيعي بالنسبة لي أن احسبه مسلكي الوحيد. كنت في الخامسة عشرة من عمري عندما خططت يوما أنا وأصدقاء لي العمل في مخيم صيفي مسيحي خلال العطلة الصيفية. اضطررنا إلى الخضوع لدورة تأهيلية استمرت أسبوعا وبعد ذلك للخضوع لامتحان تصفية.

"ما هو شعورك وموقفك من المثلية الجنسية؟" سؤال تم طرحه علينا في الامتحان. لم نتعلم في المدرسة عن المثليين والمثليات أو عن موقف الإنجيل من الأمر. ما تعلمناه في الدورة هو أنه علينا تقبل وحب الأطفال مهما كانوا. لذا ظننت أن الإجابة الصحيحة هي طبعا تقبل، حب واحترام المثليين جنسيا. غني عن القول أني لم احصل على الوظيفة في المخيم الصيفي. كانت هذه بداية ابتعادي عن درب الخلاص المقدسة. لم استطع في حينها أن افهم كيف لإجابتي أن تكون خطئاً من الناحية الأخلاقية!.

كنت مولعة بفتاة زميلة لي في الصف، بعد ذلك بفترة قصيرة أدركت أن ذلك "خطيئة". إلا أن صدف وتحادثت من خلال "التشات" مع زوج من المثليات

أمريكيـات واللاتي أقنعنني بمصارحتها بمشـاعري، وهكذا فعلت. كان ذلك بلا شـك حمقا وسـذاجة مني أو لربما كانت شـجاعة. على كل الأحوال، اعترفت لها بحبي. لم تسر الأمور على خير ما يرام.

كنت وحيـدة، خائفة ومرتبكة. وقررت أن أصب كامـل اهتمامي من الآن وصاعـدا بالصبيان. ومنذ ذلك الحين كانت لي الكثير من المحاولات الفاشـلة بطريقي لأصبح "عادية".

سـافرت إلى السـويد في عطلة الصيف، كنت في السادسة عشر من عمري. استضافتني عائلة سويدية وكانت لهم ابنه مثلية أحبوها كثيرا. كان من المذهل بالنسبة لي اكتشـاف تواجد بعض الأماكن في العالم يمكن لأمثالي أن يكونوا أنفسهم لا غير. كانت هي أول فتاة اقبلها.

بعودتـي إلـى البيت، رجعت إلى حماقتي وسـذاجتي السـابقة أو اسـتردت شـجاعتي. قمت بإخبار أصدقائي عنها. هنالك مـن كان مبهورا وهناك من عبـر عن اشـمئزازه. وواحد منهـم اخبرني انه وبدوره قَبّـلَ ولدا هو الآخر. أصبحنـا أصدقـاء مقربين جدا بعد ذلك، فقط معه كنت اسـتطيع الحديث حول أي شيء وكل شيء. لكن شعوري بالوحدة أبى أن يتركني.

عرفـت بوجود العديـد من الناس مثلنا، وبالطبع كنـت على حق، أول هذه الناس كانت اعز صديقاتي. كنا نتشابه جدا، كنا دائما نتميز في مباريات كرة القدم، لكوننا الأفضل. كانت "حسـن صبي" أيضا. ورادارى المثلي أوحى لي بأنها واحدة "منا". خرجنا إلى بعض من الخزانة في يوم لن أنسـاه أبدا. لم اعد أحس بالوحدة بعد ذلك أبدا.

بعد سـنين قليلة انتقلنا سـوية إلى تل أبيب، هناك بدأنا باكتشـاف الأمكنة والمناسـبات للمثليين والمثليات، التقينا بأناس رائعين كان بعضهم عربا أيضا. ذهبنا معا إلى موكب الفخر، ورأينا الآلاف ممن شـاركوا ومشـوا في المسيرة من اجلي ومن اجل أناس تشبهني. كان ذلك رائعا.

لم تكن حياتي سهلة. اعرف أنني تغيرت كثيرا، نضجت وأصبحت أقوى. وأنا الآن بخير. توقفت عن محـاولة التكيف، وان أصبح مثل الآخرين. واعرف انه ***وبالرغم من الأوقات العصيبة التي أمـر بها، والأكاذيب التي اضطر لإخبارها لعائلتي والأشـخاص التي أحبهـا، ما كنت لأغير نفسـي أو من أنـا،*** أنـا مثلية وفخورة بذلك. آمل بان اسـتطيع يوما امتـلاك بما فيه الكفاية من الشجاعة لإخبار أمي وعائلتي بذلك. أمل بان يتقبلوا ويتفهموا ذلك.

بين المطرقة والسندان

كنـــت صغيرة وأوهموني بـــان الدنيا ملكا لي، وباني اســـتطيع أن افعل ما يحلو لي فيها، ونسـيت ونسـو باني أنثى عربية الملامح والهوية. عبثت بي الدنيا وعبثت بها، إلى أن توقفني الحاجز الأول، حينها ذكروني باني انثى ولا يحق لي ان العب "كالصبيان" أو حتى أن العب معهم. احضروا لي دمية وأرغموني على حملها، فهذا هو " لعب البنات"، أما لعب الكرة والسيارات فهي مقتصرة على البنين فقط. علي التوقف عن السير بهذه الطريقة والتحدث كما الصبيان، علي أن أكف عن "الحسن صبي".

حاولت جاهدة ان اكون كما أرادوا لي أن أكون؛ "بنت" كســائر البنات. فارتديت الفساتين وطولت شعري، واصبحت ارافق الفتيات وبداخلي ازدادت مشاعر الوحدة والغضب على مجتمعي واهلي وازدادت مع كل هذا نقمتي.

كانت تكبرني بعامين وكانت صديقــة اختي المفضلة رغم أنها تصغرها بعامين، كنت في الثالثة عشر من عمري، كان يخفق قلبي بشدة وتتلعثم لساني كلما رايتها، ولا تلبث عيناي النظر إليها حتى تحتل الحمرة وجهي النحيل، واهرب إلى غرفتي. لم أكن افهم معنى كل هذا، حاولت أن ابرر لنفسي ما يجري بطرق عدة، إلى أن أدركت " الخطيئة"، أنا أحبها .

أبت معالم "الحســن صبــي" أن تتركني رغم محاولاتي الفاشــلة لأكون فتاة، فوقعت فريسة لسخرية أقراني. كنت اشعر دائما بالاختلاف فيزيد إحباطي وتكبر عزلتي عن الآخرين، إلا أن قررت الاحتذاء بسائر صديقاتي فاستهديت على شابٍ كان لي صديقا لعامين.

في ســن الثامنة عشر، تركت القرية وتوجهت الى مدينة الحرية للدراسة وهي أول مرة في حياتي اسكن فيها بعيدا عن أهلي. هناك كانت علاقتي

المثلية الأولى، التي استمرت ثلاث سنوات.

في كل نهاية أسـبوع، عند عودتي الى القرية، ترجع لتقتلني غربة المكـان والهوية.

كان اشتياقي إليها يزيد من كثرة توتري وعصبيتي وشعوري بالاختلاف.

انتهـت علاقتي بها مع نهاية دراسـتي، كان عليها أن تتزوج، وكان علي أن أعـود إلى حياة الازدواجية هنـاك بين أهلي الغرباء عنـي ورفاقي اللا رفاق. كانـت معاناتـي تكبر يوما بعد يـوم، فلم تكن مثليتي هي السـبب الوحيد لشعوري بالغربة، بل وأيضا حقوق المرأة الضائعة في مجتمعي وبيئتي. اتخذت قرارا بالتحدي، لم يكن من السهل علي تحمل هذه المهمة.

ليوم وبعد مرور عقود على تبلور هويتي واعوام من التحدي أجد نفسـي بين مطرقة مجتمعي وبيئتي المحيطة وسـندان هويتي الجنسية. ابحث اليوم عن الاستقرار في شـتى مجالات حياتي واعترف باني ضعيفة وباني انوي الانهزام لمجتمعي والرضوخ لكل شـرائعه. قد تكون عائلتـي ومجتمعي هم من جنى على هويتي مع سـبق الإصرار وسـلب حريتي بلا تردد، إلا أنني اعترف أيضا بجبني، فلم يعد بوسـعي الاستمرار في التحدي، لا استطيع التخلي عنهم لان ذلك سيسلبني حياتي.

مُصادرة هويّة

أفـكار وذكـريـات... هل لها الانطلاق خارجا! أريـد أن أقص جزءا من حياتي على مسامع الآخرين، أريد لهذه الذكريات والأفكار أن تُدَوَن في هذا الكتاب.

اذكر انه وعندمـا كنت في الثالثــة عشــرة من عمري كانت لدي ***الرغبــة في توثيق ما يمر علي لأعرضه على أمي وأبي وإخوتي ليصغوا إلي، ليتفهمونـني ويتعرفـون على ابنتهم*** التي ومـن المفروض أن تكون من اقرب الناس إليهم.

نشـأت في عائلة كبيرة، مكونة من ثمانيــة أولاد وبنات. كانت لي طفولة بريئة وجميلة، أحببت اللعب مع الأولاد في الحارة، أحببت الحياة وما فيها، لم يكن يشغلني شاغل. كنت كصفحة بيضاء، لم أكن اعرف أن من سيكتبها هم أهلي والأعراف الاجتماعية وبالتأكيد لسـت أنـا. هم أصحاب الرأي، هم الأوصيــاء علــى القيم، على ما يعـد رذيلة وما يعد صوابا، هم من يشـرعون القوانين المجتمعية ويوجهون سير حياتنا.

مرت السـنين وبدأت في النمو وفي سـن الثالثة عشر كان بي شيء مختلف، فضلـت التوحد والانطـواء والتأمل بمن أنا، أحسسـت بالغربة في بيتي وعن عائلتـي، لم أجـد بالبيت دفئـا أو آذان صاغية، ابتعدت وبـدأت بالبحث عن الأسـباب؟ لما لا اشـعر بالانتماء؟ لما لا اسـتطيع التوجه إلى أمي ومشاركتها ما يمـر علي؟ خفت.. خفت لأني تعلمت أن المرأة مصيرها للرجل والرجل للمرأة، لا مكان لحب امرأة بامرأة أخرى.
تخوفـت من ردود الفعل المحتملـة.... انغلقت على نفسـي أكثر وأكثر. لم اعـرف ما العمل والى أين عسـاني أن اهرب، كيف لـي أن أتخلص مما يثقل كاهلي، مما يجول في داخلي، لم يكن هنالك منفذ من كل هذا لم اسـتطع

اللجوء حتى لصديقاتي، كابـدت ما كابدته وحيدة. نظرت في عينا أقرب أخواتـي إلي، لكنني لم اسـتطع النطق، أحسسـت باختنـاق وأغرقت الدموع عيناي، تابعت مسيرة الوحدة.

اذكر كيف كنت أجد ما يشـغلني دائمـا لأتفادى وجودي في البيت، أبقى في المدرسة أو في العمل لساعات متأخرة، كنت أتطوع في كل مكان. استمر الأمر على هذا الحال حتى بلغت العشرين، عندها تعرفت على أول امرأة، على حبي الأول، كم أردتها أن تتعرف على أمي وعلى أختي وأن تتذوق مأكولات أمـي. إلا انه وللأسـف أُطفأت نار لهفتـي. لم أجرؤ، إن عرفوا سـيتهمونني أو يهينونني وفي أحسـن الأحوال يظنون إني بحاجة إلى علاج! يا الهي! يا للبأس والمفارقة، اقرب الناس إلي قد يتحولون بلحظة إلى ألد أعدائي.

لم استطيع التواجد بتلك الفترة في البيت، أردت الخروج والانطلاق إلى حياتي الحقيقيـة بلا كذب وبلا إنكار للـذات. أردت أن أعيش مع من أحب، أردت أن أكون نفسي. كانت تلك سيرورة صعبة جربت فيها كل شيء، حتى الطرق المتطرفة، حاولت الانتحار، لم يعد يهمني شيء.

بعـد أن خرجت إلـى العالم ذهلت لمـا رأيت، فهمت أني كنـت أعيش وهما. اليـوم أحب أكثر، بدأت بالانفتاح والحديث عن جنسـانيتي بلا خوف، بدأت في الإيمان بنفسـي وبقدراتي، اسـتعدت ثقتي بذاتي، اكتشـفت كم كان الخوف مسـيطر علي، خسـارتي الوحيدة هي أني لم أجـد البيت الدافئ الذي طالما أردته في عائلتي. أظنهم يعرفون أو يشـكون بأمر ما لكنهم لن يتحدثوا عنه أبدا، كل ما يشـغل عائلتي هو ما سـيقول الآخرون عنهم، همهم أن لا يعرف الآخرون. بيننا حاجز سـميك، عند زيارتي بيت أهلي اترك جنسانيتي خارجا وادخل.

عند هبوط الليل

انتقلت إلى تل أبيب عندما كنت في الثامنة عشرة من عمري. كان هذا الخيار الأنسب لي مراهقة تتخبط في هويتها الجنسية. أتذكر ليال سرق الأرق فيها النوم من عيناي وأنا أتساءل ما الذي يجعلني أقع في حب الفتيات وليس الفتيان.

كنت متلهفة للتخرج من المدرسة الثانوية، قمت بعدها على الفور بالتسجيل لجامعة تل أبيب. استأجرت شقة مع اثنتان من اعز صديقاتي من المرحلة الثانوية. كانتا هما بالذات أول من تنكر لي لاحقا، ورفضني وحاول تشويه سمعتي لمثليتي.

بعد أسابيع قليلة من انتقال طال انتظاره إلى تل أبيب التقيت بالمثلية الأولى وجها لوجه. غني عن القول أنها كانت يهودية. لم يكن فيها شيء خاص، لا شيء سوى حقيقة كونها أول فتاة قبلتها. لاحقا، التقيت بفتيات أخريات وبدأت في الخروج إلى نواد ليلية للمثلين الجنسين وهكذا تم تقديمي رسميا على الحياة المثلية في تل أبيب.

تجلى أمامي عالم بأسره من إمكانيات التعارف، من خلال الحفلات والحانات المثلية. وقعت في الحب وشفيت من الحب، أقمت الغراميات والعلاقات، وشعرت أنها كانت أسعد أيام حياتي. وأخيرا حل مكان الشعور بعدم الوضوح والالتباس مشاعر من الوضوح والصفاء. لم يعد للاختباء في الخزانة المظلمة حاجة بعد، سكنتني أفكار من الأمل والاكتفاء وطرد مشاعر العجز والإحباط. كل ما كان يهمني هي الفتيات التي ألتقيها، الحفلات التي ارقص فيها حتى بزوغ الصباح وكل الأصدقاء الطيبين الذين تعرفت عليهم خلال هذه الفترة. هذا ولا شيء غير ذلك يهمني.

أمــا فيما يتعلق بدراســتي، كان واضحا انه وبعد أن كنت متفوقة في كل دروســي خلال كل سنوات تعليمي، فكرت بأنه لا ضير من منح نفسي بعض الإعفاءات والتهور قليلا. فبعد كل شيء، الآن فقط بدأت في التمتع بحياتي.

انقضى عام، وباقتراب الصيف شعرت بأنني افقد السيطرة على حياتي. لا احد ممن التقيت وقابلت من الأصدقاء والأصحاب والفتيات التي رافقتها سألني عن دراســتي وأوضاعي في الجامعة، فجأة شــعرت بالغربة، خارج مكاني. عاد إلي التباسي وشعوري بالضياع والعجز.

فــي احد الأيــام، قالت لي امرأة متزوجة كنت أرافقهــا، "احبك أكثر من أي شــيء، لكني أريدك أن تعودي إلى البيت. إلى اهلك وعائلتك، لا تبقي هنا. لن تكبــري وتزدهري هنا". انهالت دموعي باســتماعي إلــى كلماتها فلأول مرة اشعر أن هنالك من يهتم لأمري ويقلق علي بما فيه الكفاية لتدعني اذهب.

كنــت قد فكرت فــي العودة إلى البيت، عدة أشــهر قبل ذلــك. ربما كنت انتظر ســماع ذلك من شخص اقدره. بقيت أصداء كلماتها تدوي في مسامعي لفتــرة ما بعد ذلك. حتى قمت بأحد الأيــام بلملمة متاعي وغادرت المكان من دون وداع احد.

رغم أنها هي التي أطلقتني وســمحت لي بالذهاب. وجدت نفســي بعدها عدة سنوات استيقظ على حنين لها وأتمنى رؤيتها مرة أخرى.

بقــدوم نهاية الصيف، كنت في البيت وفي الأفق بداية جديدة والداي كانا شديدا السعادة لعودتي إلى البيت، وشعرت أن كل ما حدث في تل أبيب ليس إلا جزءا من الماضي، ماضي لن يعرف عنه احد.

أرهقتني في البداية محاولتي للتحرر من الماضي. فبعد كل شيء انه الماضي الوحيد الذي عبر عني وحدد هويتي وكياني بأكمله. رغم إني كنت أعيش في حيفا، قلبي وروحي كانا لا يزالان عالقين في تل أبيب. اشتقت إلى حياتي فيها، اشتقت إلى حريتي، حرية أن أكون أنا. اشتقت إلى تسارع نبضات قلبي لرؤية امرأة وقعت في حبها للتو. اشتقت إلى بدايات العلاقات الغرامية والى القبلة الأولى، اشتقت إلى أن أكون نفسي مجددا. شعرت بالغربة في جسدي لزمني هذا الشعور عدة أشهر بعد ذلك.

رغم الصعوبات والتحديات، عزمت على التمسك بقراري والبقاء في حيفا، وشيئا فشيئا بدت لي تل أبيب وحياتي فيها ذكرى بعيدة من ماض سحيق.

مثلت السنة الثانية لحياتي في حيفا بداية سنوات مثيرة. كنت نجمة متألقة في دراستي. تفوقت في كل المواضيع وأصبحت التلميذة المفضلة وذات الحظوة عند معلمتي. هناك التقيت بأعز صديقاتي وقد استهلكني ثلاث سنوات للخروج إليها بمثليتي. كانت الوحيدة التي قبلتني كما أنا.

مرت ثلاث سنين وصلت إلى قرار فيها بالتوقف عن مرافقة النساء. كنت في حالة من الإنكار التام للذات. رفضت فكرة النساء، فكرة مرافقتهم. حتى أني لم اسمح لنفسي بتخيلهن و"الفنتزة" عليهن. آمنت بان النساء كانت مجرد لهو، أمر علي التدبر من دونه.

لا اعرف إن كنت سعيدة. اذكر فقط أنني شعرت بالكثير من الرضا والقناعة لخياري هذا، كنت انتمي لمكان لم أكن انتمي إليه قبل، أصبحت جزءا من هذا المكان، تم تقبلي، حبي واحترامي وتقديري. كانت ضريبة كل هذا باهظة الثمن. كل هذا الاعتراف بي جاء على حساب إلغاء حقيقة نفسي

وإخفاء هويتي الحقيقة.

ومع ذلك، فقد قررت عدم الغرق في الرثاء والشفقة الذاتية، وأقنعت نفسي باني سلكت طريق الإخلاص والصدق مع نفسي – كوني مثلية، ولكنني وفي نهاية المطاف ظللت الطريق. ولسنين عديدة كانت هذه الفكرة بمثابة عزائي الوحيد.

بعد تخرجي من الكلية، اكتسبت صيتا ممتازا وازدهرت مهنتي. كان أبي شديد الفخر بي وكذلك أمي التي كانت رافضة لفكرة سكني في تل أبيب، فرحت لاسترداد ابنتها إليها. وشاء القدر أن التقيت في ذلك الوقت بالذات بزوجي المستقبلي. كان توقيته مثاليا، جاء في وقت كنت فيه وحيدة تماما في العالم. وقع أبي فريسة لمرض السرطان، أبي الذي أحببته أكثر من أي شيء في هذه الدنيا. كان عذابا صرفا رؤيته يحتضر أمام أعيني. دعمني زوجي، وقف معي ومع عائلتي، شعرت أني أدين له مدى الحياة.

توفي والدي، وانهار عالمي من حولي. ما زلت لا استطيع تخطي الم فقدانه لمعرفتي انه كان الوحيد من أفراد عائلتي الذي كان من الممكن أن يتفهمني وان يتقبل مثليتي.

بعد وفاة والدي، بدأت أُقَلِب فكرة الزواج في راسي، أليس ذلك المتوقع معي. مواجهتي الأعراف الاجتماعية وسبق التقائي برجل رائع كنت قد بدأت الوقوع في حبه، بدا لي أمر الزواج نهاية مثالية سعيدة لحياة من الارتباك وعدم اليقين.

ترددت كثيرا لكننا تزوجنـا في نهاية المطاف، وكان هذا كفيلا بتحطيم آخر بقايا الشك حول جنسـانيتي، كنت متأكدة من أنني لست مثلية بعد. حملـت بـأول طفل لي في فترة قصيرة بعد ذلك في الوقـت التي بدأت علاقتي بزوجي تتراجع وتتدهور. قمنا بالانفصال لمدة شهرين بعد ولادة طفلي الأول وتبعه الطلاق سنة بعد الانفصال.

انتقلـت أنا وطفلي إلى شـقة جديدة اعترتني بدخولها مشـاعر مختلطة من الوحـدة الموحشـة و الفخر والفرحـة بطفلي الذي بضمه إلـى صدري تغيب كل متاعـب ومصاعب الدنيا. فكنت أضـم إلى حضني طفلا يعني لي الدنيا بأكملهـا. كان فخـري وفرحتـي، كانت ولأول مرة منذ سـنوات تغمرني مشاعر الفرحة والسعادة.

كل يوم عند انسدال الليل، باستلقائي وحيدة في السرير، أبدا مجددا بالتفكير في النسـاء. اشتقت إلى رقة صوت المرأة، إلى رقة قبلات النساء، الى لهفتهن في ممارسة الحب معي، كل هذا يفقدني صوابي.

لم يكن باسـتطاعتي الذهاب إلى تل أبيب مـرة أخرى، أتحمل الآن الكثير من المسـؤوليات تجاه ابني وعائلتي. أحببت وجودي معهم وشعرت بان ابني يأتي في المقام الأول قبل كل شـيء. في يوم مشمس ما، التقيت بفتاة على شاطئ البحر وسريعا ما أصبحت موضع مودتي. كانت هي الأخرى تعيش في حيفا، لطالمـا حاولت عدم مخاطرة التورط بعلاقة مع نسـاء علـى مقربة من بيتي. كان الوقـوع في الحب مجددا طبيعيا للغاية. قضينا سـنة رائعة مع بعضنا، وكما كل ما هو جميل في الحياة أتت علاقتنا إلى نهايتها.

في هذه المرحلة كنت على مصالحة اكبر مع جنسـانيتي. عرفت إني أريد

مرافقة النساء ولكني لم أفكر حقا في الخروج من الخزانة. الآن بعد أن غادرنا أبـي يبـدو لي غامر وبعيد المنال حتى التفكير فـي الخروج إلى أمي. هي أيضا عانت الم فراق والدي و"عار" طلاقي وهي دائمة القلق على ابنتها الوحيدة مع طفل، يبدو لي إني بذلك أثقل كاهلها بعبئ الحقيقة، حقيقة مثليتي.

بـدأت حياتي في اتخاذ منحى مختلف عند انضمامي لمجموعة أصوات - نسـاء فلسـطينيات مثليـات. لم اعرف بوجودهن من قبـل. يقمن بإدارة خط دعم ولقاءات لعضوات المجموعة، كلهن نسـاء فلسـطينيات ومثليـات. في البداية كان الانكشـاف على الكثير من الغربـاء صعبا للغاية، تدريجيا رأيت بالانتماء إلى هذا الجهد العظيم ما سرني ونال إعجابي.

اليوم مع أصوات، اشـعر باني اسـتطيع الخروج إلى النسـاء التي أصبحت اقرب أصدقائي. أتحدث عن أصوات من على المنصات المحلية والعالمية، واحضر لقاءات المجموعـة بتلهّف. خلقت عالمي الخاص، عالم اسـتطيع به أن أكون نفسـي، مثلية فخورة وصاحبة انجازات مثبتة.

عندما أنظر متأملة حياتي، لا استطيع القول باني اندم على "السنين الضائعة" التي لم أكن فيها مثلية، لأنها كانت سنين صقلتني وعززتني أكثر من أي وقت. ***تعلمت أن الخروج ليس بالضرورة بالأبيض أو بالأسـود، هنالك ايضا المسـاحات الرمادية، مساحات تسمح لي أن أكون خارج الخزانة وداخلها في الوقت ذاته.***

اليـوم، عند هبوط الليل، يترامى إلى مسـامعي صوتهـا الرقيق. تهمس الحب والمودة. عندما أراها، اسـتطيع تذوق حلاوة قبلاتها، تحسس ملمسها الحريري

ينســاب من على جســدي. عندما تهبط بنا الحياة أحيانا إلى أســفل درجاتها، اعــرف أن الاختبــاء بين ذراعيها يجعل قلبي يثمل طربا ونشــوة ورقصا مثل الدراويش. عندما ينســدل الليل اعرف أني أحــب امرأة، إن كان العالم يعرف أو لا يعرف بذلك ليس بأمر ذو أهميـــة، يكفي لي أننا، أنا وهي نعرف ذلك.

من أنا

ضحيت بوطني وبأسرتي لكي أكون نفسي.

ناعم مثل البنت

بدأت بتقبل نفسي كما أنا. ولأني تقبلت نفسي بدأ الآخرون يتقبلونني شيئاً فشيئاً.

امرأة أولا

جسد أنثى وروح صبي.

هي واليويو

روح محتجزة داخل جسد غير جسدها، روحي هي روح امرأة

من أنا

"احاكِ ولد حلو زي البنت" هكذا بشرت الممرضة أمي المُرهقة.

ولدت في مدينة حيفا، بشعر خروبي وجمال أنثوي وصلت إلى الدنيا وبدأت مسيرة غريبة من الآلام والصعاب. في جيل الخامسة إلى الثماني سنوات كان التباس الناس بهويتي الجندريّة بأوجه، حسبني بعض الناس بنتا، وآخرون حسبوني ولدا، أما أنا فلم اعرف ما أنا بالتحديد.

قمت بتطويل شعري، لم أحبه قصيرا أبدا. كنت اشعر بالغرابة وكان هنالك ما لا يقع في مكانه، لعبت مع البنات، وابتعدت عن البنين. كنت أمضي الساعات الطويلة بالنظر إلى نفسي في المرآة معجبا بمظهري. في احد الأيام عندما كنت وحيدا في البيت بدأت في ارتداء ملابس أمي وانتعال كعوبها، أحببت ذلك وقد ناسبي الأمر وتماشى مع روحي.

تعرفت أمي على سيدة وأصبحتا صديقتان في وقت قصير، أتت هذه السيدة للزيارة في أوقات متقاربة. كانتا تجلسان دائما وتتحدثان. بعد حوالي السنة، جاءت يوما لإحدى زيارتها المعتادة، وقالت لامي حافظي على ابنتك الجميلة (يعني أنا) سأزوجها لابني في يوم من الأيام، ارتبكت أمي وشرحت لها بأنني ولد. كم كنت سعيدا لسماع ذلك (انها فكرتني بنت)، غمرتني فرحة عارمة، فعلى مدار سنة كاملة ظنت هذه المرأة إني بنت. هي لم تخطأ، لم ترى إلا الحقيقة، حقيقة أني فتاة.

في جيل المراهقة خفت من الكشف عن حقيقتي، حاولت الاختباء، إلا أن الناس أبدت إعجابها واندهاشها لنعومتي، رقتي، جمالي وأنوثتي. كان هناك من حاول التحرش بي وكان من اكتفى بالنظر من بعيد. كلما حاولت التستر، اندفعت تلك الهورمونات الذكرية اللعينة لتشق طريقها إلى جسدي،

الولد الذي بدا كالبنت في السابق، غدا صبيا رقيقا، غلبت ملامح الشاب في جسدي على ملامح الفتاة. ساءني الأمر كثيرا.

بدأت في بوادر جيل المراهقة بالانجذاب إلى الفتيان، عاركت نفسي، لم أرد أن أكون على هذا النحو، فالمجتمع يحظر ذلك. إلا أن محاولاتي جميعها باءت بالفشل، وبقيت انجذب إلى الفتيان، لم يكن هنالك مفر من ذلك.

بعد تخرجي قررت أن اذهب للبحث عن من أكون. ذهبت إلى طبيب نفسي. بعد كل هذه السنوات التي ظننت بها باني مثلي اتضح العكس، قال لي الطبيب النفسي إني فتاة ترانسكشوال. ماذا يعني هذا؟
روح محتجزة داخل جسد غير جسدها، روحي هي روح امرأة يحتجزها جسد ذكوري. سألت ما الحل؟ هل يوجد هنالك علاج أو دواء لهذه الحالة؟ لا. الحل هو أن تعيشي كامرأة وأن تعطي لروحك التعبير عن ذاتها بالإضافة إلى علاج هرموني.

هنالك طبعا من يظن أن هؤلاء الذي يخضعون لعملية تغيير الجنس يفعلون ذلك من اجل ممارسة الجنس فقط، هنالك من اختار العيش كإمرة من دون عملية تغيير للجنس وآخرون اختاروا الخضوع لهذه العمليات.

أنا اليوم امرأة ترانسكشوال[1]، أكاديمية اعمل في عمل ذو قدر ومكانة، وأفكر في الخضوع لعملية تغيير الجنس يوما ما.
رسالتي اليكم: أصغوا إلى روحكم، امنحوها مكانا، كل المكان، ابحثوا عنها، عيشوا بسلام معها، عيشوا تبعا لها حتى لو قست الأيام عليكم، تحلوا بالقوة والصبر والشجاعة.

1 مغيّرة الجنس

ناعم مثل البنت

في الحياة أشـخاص يتفـق مظهرهم مع مضمونهم وهـم الأكثر حظاً بهذه الحياة. وآخرون يختلف مظهرهم عن مضمونهم وهم بدورهم ينقسـمون إلى نوعين:
يتـرك مظهر النوع الأول انطباعـاً جيداً عند الآخرين، بينما في الحقيقة هم أشـخاص سـلبيون "من برا هلا هلا ومن جوا يعلم اللـه". لا اعتبار للآخرين عندهم، وتشـغلهم كيفية الإيقاع بالآخرين. يشـكل مظهرهم بطاقة عبور للحصول على كل ما يبتغون. مثال على هؤلاء: النصابون وما شابه.

أما النوع الثاني فمظهرهم لا يترك انطباعاً حسـنا عند الآخرين بل اشمئزازاً أو سـخرية، بينما، وعلى الأغلب، هم أصحاب روح طيبة ومضمون ايجابي من كل النواحي.

أعتقد أن أغلب مغيّروا الجنس [1] ينتمون إلى هذا النوع من البشر، لأن الطبيعة سجنت روح هؤلاء الناس ومضمونهم بأجساد غير ملائمة لهم.

وهنا أسـتطيع كمغيّر جنس أن أتكلم قليلاً عن نفسي، فلأن روحي سُجِنت بجسـم غير ملائم، عانيـت الأمرّين، أرهقني الصـراع الدائم وأثقلت كاهلي الجروحُ حتى كادت روحي تتلاشى من الألم.

ترعرعـت في مجتمـع محافظ، مجتمع يتطلب من الذكـر أن يكون رجوليًا بحركاتـه وصوته وتصرفاته، وهذا ماً كنت دائمـاً أحاول القيام به. كان ذلـك عبثا، فالأنثـى التي بداخلي طغت على كل شـيء، وكانت تظهر في صوتي وفي حركاتي. وهذا ما كان يضعني بمواقف محرجة ومؤلمة، فما أن أدير ظهري حتى أسـمع القهقهات وأصداء كلمات قاسية تمعن في تجريحي، "اطلعوا كيف بمشي مثل البنات"، "صوته صوت بنت"، "ناعم مثل بنت".

1 لا تتحدد الهوية الجندرية وفق الجنس البيولوجي، او وفق نظرة المجتمع للذات (رجل ام امرأة) فحسب، وإنما حسب ما تشعر به الذات تجاه نفسها. فمن الممكن للذكر ان يكون مؤنث اجتماعيا أو لأمرأة ان تتذكر اجتماعيا، وهذا لا يتعلق بالضرورة بميولها الجنسية.

وأصعب ما في ذلك مخاطبة بعض الطلاب لي بصيغة المؤنث. كنت أعيش صراعًا. حتى أنا بنفسي لم أفهم ماذا يحدث لي. كنت أشعر بأني مختلف وشاذ عن الآخرين، وحسبت أني الوحيد بهذا العالم الذي خلق على هذا النحو.

لم أكن أستطيع أن أبوح بما أشعر به لأحد، مما زاد من ألمي ومعاناتي. وشعرت بكل هذا حتى قبل جيل المراهقة وحتى قبل أن أعرف ما هو الجنس.

كنت ألتزم الصمت في أغلب الأحيان حتى لا يسمعوا صوتي. وإذا تكلمت كنت أحاول تمثيل صوت غير صوتي. كنت في المدرسة لا أتحرك كثيراً حتى لا يلاحظوا حركاتي. لم أكن حتى أشارك في دروس الرياضة، بل كنت أتناول كتاباً وأقرأه أو أحضّر وظائفي المدرسية. قَلّصت من وجودي وذاتي قدر المستطاع، وكان لهذا أثر سلبي على تطور قُدُراتي ومهاراتي الاجتماعية وحتى العلمية رغم تفوقي في المدرسة.

ورغم كل الصعوبات عاركت الحياة واستكملت دراستي الجامعية. وفي هذه الفترة بدأت أفهم الحياة أكثر وتصالحت مع نفسي.

بدأت بتقبل نفسي كما أنا. ولأني تقبلت نفسي بدأ الآخرون يتقبلونني شيئاً فشيئاً.

تعرفت في فترة دراستي الجامعية على أشخاص مثلي، كل منهم له معاناته وقصته، وكما يقولون "لما بتعرف مصيبة غيرك بتهون عليك مصيبتك". وهيك، أدركت بأن هذا هو قدري في الحياة وبأنه عليّ أن أسعى وأعمل بجد لتحقيق طموحاتي وأن أكمل طريقي في الحياة حتى النهاية.

امرأة أولا

يصادف اليوم عيد ميلادي الثالث والثلاثون،ولدت عام 1976 في لبنان، تحديدا في بيروت، أتخيل نفسي جنينا سعيدا ومتحفزا للخروج من رحم أمه إلى عالم ممتع. لو كان بإمكاني معرفة حقيقة العالم الذي سأخرج إليه، لكنت على الأقل حضرت نفسي استعدادا لمعركة الحياة. ارجع في ذاكرتي إلى طفولتي وأتأمل ما أنا عليه الآن وأرى مسيرة صعبة مليئة بالألم والسعادة.

لِما حياتي أصعب من حياة الآخرين؟ سؤال اطرحه على نفسي كثيرا والجواب بسيط: لأنني ولدت في الجسد الخطأ، فتاة في القلب والروح والعقل ورجل في ما بين فخذي، يا له من مزيج!. نشأت في أسرة صغيرة جدا من الطبقة الوسطى، ليست بالغنية ولا بالفقيرة. أراد صبيان فقط وقد حقق الله مطلبه. اختارت أمي التوقف عن إنجاب الأطفال بعد إنجابها لشقيقي الثالث، ولكن عندما حملت بعد عدة سنوات، حملت بي، طفل كوكتيل وكأنه تم وضعي في الخلاّطة، غير أن أحدا لم يدرك ذلك إلا حين بلغت الرابعة عشرة من العمر.

لي ثلاثة أشقاء، والدة رائعة وللكثير من الأسف والد مدمن على الكحول. أحبتني أمي كثيرا وما زالت تحبني. ما زلت طفلها المفضل، وما زلت استطيع رؤية الدموع في عينيها كلما نظرت إلي، اعرف أنها تشفق علي.

كانت لي طفولةً جميلة... عاملتني أمي وكأني دميتها. ما زلت اذكر كيف كانت تلبسني بملابس بنت، ربما لأنها طالما أرادت بنت، حتى أنها كانت تناديني "بنتي" عندما أرادت أن تعبر عن معزتي عندها. عندما أرادت يوما أن تشتري لنا اللعب أعطتني إمكانية الاختيار بين دمية باربي وبين لعبة مكونة من أدوات مطبخيه. لم يهمني اللعب بالأسلحة والدبابات والجنود البلاستيكية مثل أشقائي، لم أشاركهم اهتماماتهم، حتى أن كافة صديقاتي

كن من الفتيات فقط، في المدرسة وفي الحارة ايضا.

ظننـــت فـــي صغري أن للبنـــات والأولاد تكوين واحد متشـــابه بـــين أرجلهم، وظننت أيضا باني وبلا شك فتاة. لا اذكر أنني شعرت ولا حتى لثانية واحدة بأنني ولد. أردت دائما أن يكون لي شـــعر طويل، أطول من شعر باقي أشقائي، ودائمـــا انزعجت لنوع الملابس التي أرادوا لـــي أن ارتديها في بدايات مراهقتي. بدوت أنثويا للغاية وكان ارتدائي لملابس ذكورية ورجولية بمثابة كابوس بالنسبة لي، لخوفي من أن يعتقد الناس باني شاب، فانا فتاة في روحي.

في يوم من الأيام وخلال تصفحي المجلات لفت انتباهي رســـم تصويري لجسد شاب وجسد فتاة وبعض الأسهم الموضحة لشرح الفرو قات العضوية بين جسد الفتاة وجســـد الشاب، انتبهت إلى وجود بعض الفروقات التي لم انتبه إليها من قبل، أصبت بصدمة عظيمة، شعرت بأنني مخلوق من الفضاء، غريب عن هذا العالم. لا استطيع التعبير بدقة عن المشاعر التي سيطرت علي في ذلك الوقت، اعرف فقط أنني شعرت بمزيج من الارتباك والخوف وعدم الفهم أو التصديق. لم اعرف ماذا افعل أو كيف أتعامل مع هذا الاكتشاف، لمن أتوجه للاستفسار أو للحديث عن الموضوع ؟

قضيـــت ليال عديدة لم اعرف فيها النوم، أفكر بما عســـاني فاعل، في النهاية قـــررت الحديث مع أمي عن الموضوع، ما زلـــت أتذكر كم كنت متوترا في ذلك اليوم. ماذا ســـتقول أمي؟ كيف ســـتكون ردة فعلها؟ لكنني اســـتجمعت شجاعتي وسألتها "ماما.. أنا بنت ولاّ ولد؟" كانت لها ردة فعل غريبة وحمقاء ، ضحكت وقالت لي "طبعا ولد، لما تسال؟" قلت لها: اســـأل لأني اشعر أنني بنتا وارغب الزواج من رجل وأريد أن تكون لي عائلة، مثلك تماما، لا أريد أن أكون ولدا عندما اكبر. بدأت ملامح وجهها ونبرة صوتها بالتغير. وقالت لي بحزم:

"لا أنت لست بنتا، وانك تشعر هكذا لأنك ما زلت صغيرا وتبدو أنثويا بعض الشيء وقد يكون التباس الناس وظنهم انك فتاة يعطيك هذا الشعور." وقالت لي أيضا أن الناس جننوني وأمرتني في الذهاب على الفور إلى الحلاق وقص شعري. كانت لي قصة شعر قصيرة و"بنّاتية" وظهرت بها أكثر أنثويا وشعرت بالسعادة لذلك. رفضت قص شعري.

قالت لي في احد الأيام بأنها تريد اصطحابي معها إلى إحدى صديقاتها. علمت لاحقا أنها أخذتني إلى مشفى الجامعة الأمريكية في بيروت وهكذا وجدت نفسي اجلس في عيادة للعلاج النفسي. بدأت الطبيبة في طرح وابل من الأسئلة التافهة والغبية علي: "هل حاول احد التلاعب معك جنسيا أو أي شيء مشابه لذلك؟ لماذا تشعر على هذا النحو؟" وأسئلة غيرها كثيرة. قلت لها بأنه لم تمر علي تجارب كهذه التي ذكرتها وبأنني وببساطة اشعر بنتا ولست ولد. أُجبرتُ على التردد عليها خمس أو ست مرات وفي كل مرة اعتادت أمي الدخول إليها بعد كل جلسة والحديث معها قليلا. قالت لي في آخر جلسة لنا، أنني فتاة ترانس[1] وبأنني لست الوحيدة، توجد أخريات وآخرون مثلي وبأنني استطيع أن أكون فتاة إن أردت ذلك حتى مع جسم كجسمي. وقالت جملة لن أنساها أبدا، "كوني بنت، لكن لا تصبحي عاهرة".[2]

بعد مرور عدة أيام قامت أمي باصطحابي مجددا وهذه المرة إلى طبيب أخصائي في علم الجنس (Sexologist) وذلك للتأكد من عدم وجود أي خلل جنسي عندي، وبالطبع قام بسؤالي عن تجارب سابقة من الاغتصاب أو الاعتداء الجنسي. باستكمال كل الفحوصات والتحاليل اخبر أمي أن لا علة بي سوى معاناتي من مشاكل هورمونية، وتم البدء بإعطائي هورمون التوستوستيرون (هورمون ذكري) ظنا منهم أن من شانه إصلاحي؛ طريقة كلامي ومشيي وملامحي ستصبح كلها أكثر ذكورية. إلا أنهم كانوا على

1 مغّيرة الجنس

2 يلجأ بعض من مغيّري الجنس للعمل بالجنس من أجل تمويل عمليّات تغيير جنسهم

خطا، لأنهم ظنوا انه وعبر تغيير مظهري وشكلي سينجحون في اقتلاع الفتاة من داخلي. ما زلت اذكر كيف بدء شعر وجهي بالنمو وكيف كنت احلقه بشكل دائم، لم ارغب في أن تراه عائلتي وان يطلبوا مني أن احلق كالرجال أو شيء من هذا القبيل. بالإضافة إلى إني شعرت بأنها الطريقة الوحيدة لجعل الناس تشكك في كوني فتاة.

عاملتني عائلتي بقسوة شديدة، لم يخبرني أحدا عن نوع الحبوب التي أتناولها، قالوا لي فقط أنها حبوب للتهدئة، شعرت على العكس من ذلك فكنت دائمة الإحباط والتوتر، حزينة وعدائية، في كل مرة كنت اغضب فيها كنت اشعر بالاختناق، شعرت بألم فظيع في رقبتي، لا استطيع وصف هذا الألم.

أرادت أمي يوما ما شراء حذاء لي، ذهبنا معا للتسوق وبدأت في تفحص الأحذية، وعند كل اختيار كنت أقول لها أن الأحذية التي تختارها لي رجولية "زيادة عن اللزوم" وباني لا أريدها. غضبت مني بالنهاية وأخذتني إلى البيت وأول ما قامت به هو تجميع كامل أحذيتي الملونة وبمقص كبير قامت بتقطيعها، وقالت: "من اليوم وطالع ستمشي بالشوارع حافي القدمين" وبدأت في الصراخ علي وضربي: "هل تريد أن تكون امرأة، هل تظن أن حياة النساء أسهل!" وحظرت علي الذهاب إلى المدرسة أو إلى أي مكان وأمرتني بالتزام المنزل، حُظِرَ علي مرافقة الفتيات لان الناس قد تظن إني فتاة، وحظر علي مرافقة الفتيان لان الناس قد تظن إني على علاقة جنسية مع احدهم.

أصبت بإحباط عظيم وقررت الخلاص، حاولت الانتحار لأول مرة في حياتي، كنت في عامي السادس عشر. أنقذوا حياتي وحاولوا علاجي بطريقة أفضل من السابق، أوقفوا علاج الهورمونات لان طبيبي النفسي نصحهم بذلك قائلا بأنه ليس من الصواب أن يقوموا بإعطائي حبوبا لا اعرف ماهيتها.

سافرت إلى الدنمارك فور بلوغي الثامنة عشرة عاما، أردت أن اشعر بالحرية وان أتمتع في الحياة من دون ضغوطات ومع اقل قدر من التحديات. ثمن هذه الحرية كان باهظا،

ضحيت بوطني وبأسرتي لكي أكون نفسي، لكي أكون المرأة التي أنا هي اليوم. كان من المهم لي أن أكون امرأة أولا، مجابهة التحديات تأتي لاحقا. إذا خُيِرتُ بين الرجوع إلى الحياة كرجل وبين الرجوع كامرأة لاخترت أن أكون امرأة بلا شك، علمتني حياتي كامرأة الكثير وجعلتني إنسان أفضل.

إني سعيدة بحياتي اليوم، عندي عملي والكثير من الأصدقاء والاهم من كل هذا أنني أرى بنفسي امرأة قوية، افخر بمن أنا. استطعت بعد الويلات الإثبات لعائلتي أهمية أن أكون امرأة وبأنني لم أرد أن أكون امرأة فقط من اجل الجنس، لم أكن أبدا مُشَيَّئَه[3] جنسيا ولن اسمح لأحد في العالم أن يعاملني كذلك. جسدي مقدس وغالي علي، احترمه كاحترام أي امرأة لجسدها، لذا تتقبلني أمي كفتاة، وكذلك شقيقي الذي يعاملني وكأنني ولدت شقيقته وليس شقيقه.

اشعر اليوم بأنني حرة ولي كياني في هذا العالم، لم يعد استقصاء المجتمع لي أمرا تقاس به قيمتي.

يارا كاريس
13.08.2009

3. هو إختزال كيان المرأة في جسدها، النظر اليها كشيء أو أداة للإثارة

هي واليويو

تجاوزت الأربعين ولم تجد حب حياتها؛ تقلبت بين حكاية وأخرى... لم تجد لها مستقرا بين القلوب والأوطان؛
عاشت يقرصها برد الغربة في الحب وعلى الأرض ... شدني شخصها منذ قابلتها قبل عدة سنوات. تحدثت معي بأمور لم أعيها في ذلك الحين. لها لغة خاصة وفلسفة في الحياة... حدثتني عن كيف يضيّع الإنسان حياته في العراك مع من يحب، كيف يخسر الكثير عندما يتوقفان عن الحديث مع بعضهما وكيف أن الحياة لا تتسع لكل هذا وان علينا أن لا نضيع وقتنا في الزعل والجفاء. علينا أن نتجه نحو الآخر لمحاولة إصلاح ما انكسر والتواصل. لنا القدرة على المسامحة مهما جُرحنا حتى ننعم بمن نحب و نمنحها فرصة أخرى.

حلمت في طفولتها أن يكون لديها "يويو" كأبناء عمومتها وأبناء الجيران الذين كانت تستأثر باللعب معهم دون البنات. شدها عالم الصبيان، لعبهم ومعاركهم. بكت ذات يوم لأمها لأن عند كل الأولاد "يويو" ما عداها... طمأنتها أمها أنها لا زالت صغيرة وانه آت آت "وحيطلع لما تكبري" ووعدتها انه إن لم ينمُ سوف تذهب بنفسها عند بيّاعٍ اليويو لتبتاع لها واحدا. صدقت الطفلة وجلست تنتظر يوما بعد يوم.

أدركت عندما بدأت أعضاء أخرى من جسدها تنمو بأنها لن تنال أبدا ما عند الصبيان، وأدركت حقيقة كونها لن تتغير أبدا وان لها

جسد أنثى وروح صبي.

أحبت البنات واشتركت مع الصبيان في الحديث عنهن. لم تكن مقبولة في عالم الصبيان، لكنها وجدت لنفسها من تقبلها "كصديق" على أمل أن تصبح صديقته. شاركتهم مغامراتهم ونزواتهم، حتى معاكسة البنات.
استجابت لها بعض الفتيات في الحب وفي الجنس. كانت تحاول في كل لقاء

أن تغير من مظهرها، أن تمحي كل معالم الأنوثة في جسدها. كانت تربط حول صدرها رباطا شديدا توأد به هذا الصدر الأنثوي الذي يعلن عن نفسه رغما عنها. كانت تذهب يوميا إلى صالات الرياضة أملا في نمو عضلاتها لتمنحها المظهر الذكوري الذي تتمناه.

مرت عليها علاقات حب ولقاءات سريرية بلا تعداد، لم يبقَ منها إلا مشاهد وأسماء لنساء لا تستطيع حتى أن تركب وجوها لأسمائهن. كانت تسأل نفسها عن أسباب عدم استمرار قصص الحب في حياتها ولماذا كانت تنتهي هذه العلاقات بترك الفتاة لها فجأة بعد بضعة مرات من الحب أو بعد مرة واحدة من ممارسة الحب. لم تكن تقصّر في حبها واهتمامها بمن تحب ولا تبخل عليها بمشاعر أو ماديات ما. كانت تسأل ولا تعرف لهذا السؤال جوابا.

قابَلَت ذات يوم أنثى "زي ما بيقولوا" متفجرة الأنوثة، ساحرة الضحكة والحديث، ناضجة وتعلم ماذا تريد. تحدثتا وتقابلتا وفي اللقاء الثاني ذاقت كل منهما الأخرى في الفراش. حضرت إليها ترتدي "يويو" تحت لباسها. ضحكت لما شافتها ولمسته.
"إيه ده؟"
"ده يويو"
"وليه كده؟"
"أنا كان نفسي يكون عندي واحد عشان أدُس بيه النسوان"
أخرجته لتراه. كان لونه بلون الجلد وتفاصيله تكاد تكون حقيقية كأنه قد قُطع من رجل.
"مش قادرة أبص عليه، شكله بيفكرني بطليقي واللي كان بيعمله فيي كل ليلة." تخفي عينيها بيدها. "ممكن تخلعي البتاع ده؟"
"أنا نفسي بس تفهميني. أنا عايزة أدُسّك بال"يويو" ده. عارفة أنا بحس بيه

أوي كأنة حتّة مني"
"وأنا مش حقدر أستحمل إنك تدُسّيني بال"يويو" ده"

تخلصت من ال"يويو" حتى ترضيها، ولكنها ظلت تتحدث عنه وعما يفعله وما يمكن أن يفعله. كلماتها ووصفها كان خليعا، سوقيا ومثيرا، لكن ليس لامرأة مثلية.
قالت لها "أنا بدور على أنثى مثلي مش على ذكر"

كانت مشكلتها التي تجهلها أنها أنثى وليست ذكر ب"يويو" تدُس به. لم تتحمل الفتيات المثليات ذكوريّتها الغالبة عليها في الفراش. كانت كل امرأة منهن تبحث عن امرأة مثلها تبادلها ما لديها؛ لم يردن رجُلا. لا زالت تحتفظ بال"يويو" ولا زالت تقع في الحب، وتهرب مَن تحبهن منها بعد أول ممارسة للحب.

أول صفحة من
صفحات الحياة

ماضي لأجلكم
مستقبلي من أجلي

امي وحكي الناس

فضوليّة

المرة الأولى التي
وقعت فيها في
حب امرأة

حياتي أنا وهيَ

مصالحة مع الذات

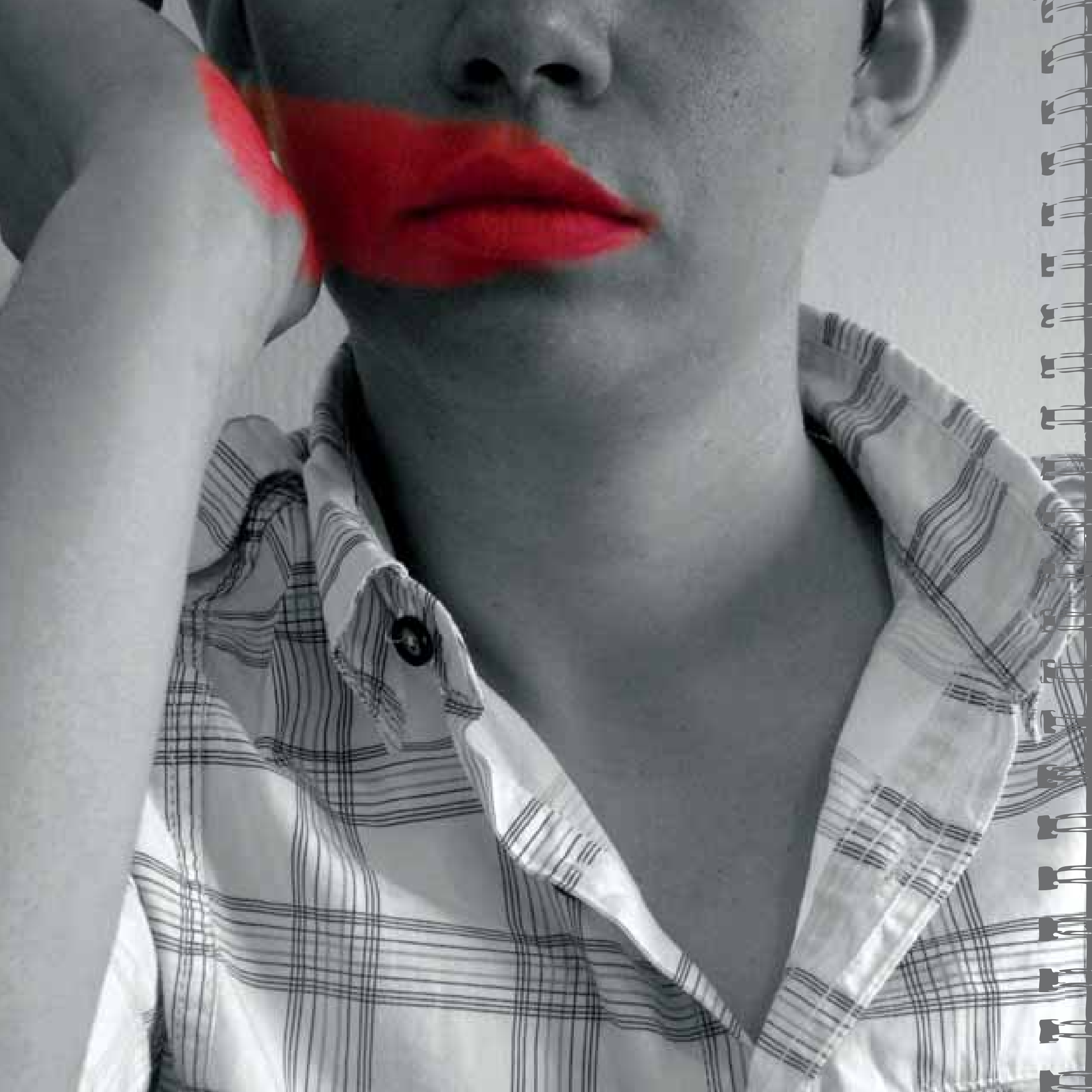

أول صفعة من صفعات الحياة

حاولت أن أمنع قلمي من الكتابة لأنني أحسست أنه سيخون عهدي ويكتب أحزاني ومعاناتي
وآهاتي وآلامي سيكتب ما حاولت دفنه وإسقاطه في مقبرة النسيان، لكني لم أجد إلا أن أتركه حرا يكتب ما يشاء. كتب قلمي محاورتي مع قلبي التي طالما تجنبتها، ظلمتك كثيرا يا قلبي سجنتك طويلا في قفص صدري، أرهقتك في كل صغيرة وكبيرة، أرهقتك وأيقنت أن موتك في حكم المؤكد. لكن تأكد باني سوف أنتقم لك من كل من ظلموك وبنارهم أحرقوك وأولهم أنا، ثق بي فالمسألة مسألة وقت محدد.
سوف أطلق سراحك عندما آخذ بثأري من كل شخص أحمق، سوف أطلقك إلى عالم وردي لا تعرف فيه الألم، أطلقك إلى فضاء أوسع من صدري الذي تزاحمت فيه الهموم والأحزان على مر الزمان، سوف أجعلك تطير في سماء تتزاحم فيها النجوم، سأودّعك، ولتسكب عيناي دمعها، ولتتناثر دموع قلمي في صدور الصفحات. لك اهمس وأقول توقف عن النبض، أنا لن استطع أن أؤمن لك حياة سعيدة.

لا اعلم متى أدركت أني مثلية! هل عندما كنت في رحم والدتي أم عندما نضجت وظهر حبي الشديد لمعلمتي، الآنسة حنان، التي كانت جميلة إلى درجة لا توصف، عيناها زرقاوان وابتسامتها تسحر القلوب وخصلات شعرها الشمسية متدلية على أكتافها. عرفت بعمر 11 أو 12 سنة إني مختلفة عن الجميع ولكني دفنت سري بداخلي بأحكام وابتلعت المفتاح. عرفت بعد فترة أنها تزوجت، خابت آمالي وبكيت كثيرا. مرت ثلاث سنوات انتقلت باكتمالها إلى المرحلة الثانوية وهناك انفجر بركان خيبات الأمل الذي لم ينضب إلى يومنا هذا.

أنا إنسانة أهوى الكتابة فكان درس اللغة العربية من الدروس المميزة عندي

على خــلاف الكثيرين من الناس وذلك لأنه يحتوي على الأشــعار والنصوص النثريــة وغير ذلك وبهذا الدرس عرفت مدرســة اللغــة العربية، المس هديل وليتنــي لم اعرفها. كانت لي صديقتان، أو كنت أظن أنهما كانتا كذلك، ســحر وأســيل، كنا لا نفترق عــن بعضنا البعض إلا حين نذهــب إلى المنزل وحتى في المنزل كنا نقضي الساعات الطويلة في الحديث عبر الهاتف.

لــم أكن اعرف في بداية الأمر حقيقة مشــاعري نحــو المس هديل، أو لربما كنت التمس العذر لنفسي لكي لا اعترف أن الذي اشعر به هو ليس الحقيقة المــرة. إلى أن جاء اليــوم الذي قررت فيه الاعتراف بجزء بســيط من الحقيقة للبنــات التــي كنت أتصور أنهمــا صديقاتي وأخبرتهن بأننــي معجبة بالمس هديل. تمنيت لو أن الأرض انشــقت وابتلعتني وشــربت بعدي دجلة والفرات، ضحكــن واســتهزأن بي، كســرني وآلمني ذلــك كثيرا، لم يكن لي ســوى أن استخف بكلامي أيضا واضحك معهن محاولة بهذا إنقاذ الموقف وإغلاق الموضوع.

في صباح اليوم التالي أرســلت بطلبي المس هديل، وقفت أمامها وكأنني أمثُلُ أمام محكمة، كالمجرمة بانتظار إصدار حكم الإعدام علي.
قالت : لقد أخبرتني أسيل بما دار بينكن، ماذا تقصدين بهذا الكلام؟
وهنا كانت غلطتي الكبيرة، اســتجمعت قوتي وأمســكت بسيفي وصولجاني "نعم مس أنت بقلبي مثل ما قالت أسيل".
قالت : "يعني مثل شو؟" .
كانت شــجاعتي تتداعى شــيئاً فشيئاً، ســقطت من على جوادي وأحسست بالهزيمــة حتــى قبل أن انطق بحــرف واحد، إلا أن الكلام خــرج رغما عني، محطِماً قيودي، هازماً خوفي الذي حاول السيطرة علي
- نعم أنا أكن لك مشاعر حقيقة.

- أي نوع من المشاعر تقصدين؟
فهمت حينها أنها خافت من ما أُكنهُ لها
أجبتها: "إعجاب فقط"
قالت : اشرحي لي نوع هذا الإعجاب.
سكتُ لبرهة فحتى كلماتي ترددت بالخروج من فمي، عرفت إني "وقعت مع الإنسانة الغلط" وان كلامي هذا قد يصل إلى الإدارة وقد يتم فصلي أو قد يصل إلى أهلي ويتم قتلي أو أنها ستكمل ما بدأن به صديقاتي البارحة وستدمي قلبي بالاستهزاء. تمالكت نفسي وقلت : "إعجاب بشخصيتك، بأسلوبك بحديثك وبطريقة تدريسك" في محاولة يائسة مني لإنكار الحقيقة. كنت قد أحببتها للغاية، وازداد حبي للغة العربية بعدما عرفتها، كانت مختلفة، سمراء وشعرها ليل قاتمٌ، وعيناها واسعتين تحملان البراءة كنظرات طفل صغير. بعد أن أكملت حديثي شعرت أن ملامحها تغيرت واصطبغت بالشدة والقسوة.
قالت لي: انك مراهقة ولا تعرفين حتى ماذا تقولين، أريد لهذا الكلام أن ينتهي الآن وان لا تعودي لذكره لا أمامي ولا أمام أي شخص آخر بتاتا.
أومأت بالموافقة وودعتها وذهبت، قدماي لا تكاد تحملني وقلبي يدق خارج أضلعي. بعد حديثي مع المس قررت أن أنساها وأتابع حياتي ولكن العكس هو الذي حصل فأصبحت هاجسي. ما لم يكن في الحسبان هو أنني صرت هاجسها أيضا، ليس بالطريقة التي أريدها طبعا، بدأت تتقرب مني ومن صديقاتي محاولة علاجي، بنظرها أنا مريضة وهي الكريمة التي ستتكرم بعلاجي. يا لسخرية القدر وظلمه الكبير.

بدأت ترسل في طلبي وفي طلب صديقاتي في أوقات الاستراحات بين الدروس وتحاول محادثتنا، كل نظراتها كانت موجهة نحوي نظرات ممزوجة بالاحتقار والاشمئزاز. استمر هذا الحال لأيام طويلة وأنا لا أتحدث معها ولا

أشارك حتى في الحديث إلا إذا كان السؤال موجها لي شخصياً.

أحسست أنها تحاول التقرب من أسيل، وان أسيل تبادلها نفس الرغبة. بدأت تتكون بينهما شبه صداقة، فبدأت أسيل تقوم بزيارتها لمنزلها برفقة أخواتها. وكنت أنا كالتي تقف في واد سحيق في أسفل جبلين. بدأتُ بالانتباه لوجود نوع من النظرات بين الاثنتين، لم اعلم ماذا يجري بالضبط.

ظل الحال هكذا لأسابيع، حتى وضحت الرؤيا تماماً لدي حينما جاء عيد المعلم، اذكر أنني أخذت المال من أبي ومن أمي واقترضت من أخواتي أيضاً لأجلب هدية تليق بمكانتها في قلبي وفعلاً جلبت الهدية وأنا اجهل ما ينتظرني. كنت في عامي السادس عشر حين تلقيت في الحفلة أول ضربة من ضربات الحياة القاسية، أول واكبر خيبة أمل وخيانة في حياتي. سلمت هديتي إلى المس واستلمت بالمقابل نظرة باردة وقاسية، شعرت وكأنه أطيح بي بجبل جليدي، حاولت الانحناء عليها وتقبيلها على وجنتيها كما فعلن كل البنات ولكنها ابتعدت عني وكأني احمل فيروسا لمرض معدٍ، لم أعرف كيف مرت علي هذه الدقائق. جاءت صديقتي أسيل وألقت بنفسها بين أحضان المس وانهمرت القبل بينهما وهنا بدأ الدم يتدفق لرأسي وبدأت بالغليان لإدراكي الحقيقة، بين أسيل والمس توجد علاقة سرية. انتهت الحفلة ولم اعلم كيف مرت تلك الليلة علي.

توجهت في صباح اليوم التالي مباشرة إلى صديقتي سحر وقلت لها ماذا جرى البارحة وأخبرتها بشكوكي أن بين أسيل والمس هديل شيئاً، أجابتني ببرود قائلة إن تخيلاتي مريضة وان لا شئ بينهما واني أغار من أسيل. لم استسلم والأفكار تتصارع بداخلي وتأخذني شمالاً ويميناً، قررت عدم السكوت.

عرفــت عن طريق الصدفة بحلول عيد ميلاد المــس هديل وجلبت لها هدية غاليــة الثمن. حاولت أن أعطيها لها أول الصباح ولكن لم يحالفني الحظ وعند نهايــة الدوام المدرســي غيــرت طريقي واتجهت إلى القســم الــذي تتواجد به المدرســات. نظرت إلى غرفة المدرسات ووجدتها خاوية وكذلك غرفة المديرة، تقدمت للأمام، كان القسم كبيراً جداً لدرجة أني فكرت في نسيان الموضوع والذهــاب إلى المنزل وإعادة المحاولة في الغــد، لكن خطواتي قادتني إلى غرفة في نهاية الممر، فتحت الباب وإذ بي أفاجأ برؤية المس هديل وصديقتي أســيل يتبادلن القبل. صعقت وارتعش جســدي من رأسي إلى أخمص قدمي، صفقت البــاب خلفي وذهبت، لا اعرف كيف وصلت إلــى المنزل. جاء الصباح بعد أن قضيــت ليلة مريرة ومؤلمة خرجت منها بقرار هو أن أتصرف بصورة طبيعية وكأن شــيئاً لم يكن ولن أحدثهن بالموضوع؛ لا المس ولا صديقتي. ما أدهشني هو تصرف المس ونظراتها لي وكأني أنا التي فعلت بها شيئاً سيئاً.

حاولت لململة جراحي والمضي قدماً بحياتي وحفظ ماء وجهي. لم تتركني المس بحالــي في محاولاتها العلنية لإظهار حبها وعشــقها لصديقتي أمامي وتعمدها الدائم لإثارتي من خلال تقبيلها أو الإمساك بها من خصرها أو صدرها وأنا اغلي واغلي. أصبحت حياتي الجحيم بعينه وبكيت كثيراً، لم اعلم لما كنت ابكي، هل من خيانتها أم من صدها الدائم لي واستهزائها لي رغم أنها مثلية مثلي، أم كنت ابكي صديقتي الخائنة التي عرفت مشاعري الحقيقية واستخفت بي.

قضيــت مراهقتي منطوية على نفســي، لم أكن اعلم أنــي قد أضعت أجمل ســنوات حياتــي مع أناس لا يملكون من الإنســانية شــيئاً وضاعت علي كل فرصي بالاســتمتاع بهذه المرحلة من عمري وأصبحــت مثقلة بالأحزان، نعم الأحــزان التي ترافقني في حياتــي، أصبحت الأيام والليالي ســطور في دفتر أحزاني، كلمات تعبر عن معاناتي.

ماضي لأجلكم مستقبلي من أجلي

منذ أن قررت أن أكتب قصتي وأنا في حيرة من أمري، ماذا أكتب؟ من أين أبدأ؟ وما هي الحدود التي سألتزمها في هذهِ القصة؟ فقصتي لم تبدأ اليوم ولا البارحة، قصتي بدأت قبل أن أولد. هي ليست قصتي وحدي بل هي قصة مجتمع بأكمله، وأنا لست إلا جزء من هذا المجتمع، مهما حاولت فصل نفسي عنه تبقى هناك دائما جذور تربطني بهِ. جذورٌ أعتز بها أحياناً وكل ما أتمناه هو اقتلاعها وبترها أحياناً أُخرى. فمن أين أبدأ وكل الأمور تتصل بعضها ببعض؟

بدأت الكتابة في خضم دخولي الى مرحلةٍ جديدة واعتلاء قمةٍ جديدة في حياتي، لا أعرف ما ينتظرني بها.

ها انا أُعِّدُ نفسي للسفر، وأشعر حرقة في قلبي. السفر... ولِما السفر... ومتى العودة؟! أجدني انتظر العودة قبل السفر، فهو ليس الخيار الذي اتخذته بل هو الخيار الذي لم يكن لي غيره. فالسفر يعني لي المنفى والمجهول. فهذا ما اختارته لي عائلتي وأختاره لي مجتمعي، لا لذنبٍ الا لمطالبتي بحقي بأن أعيش وان أختار وان أكون.

في تلك الليلة أتخذ مسار حياتي مُنعطفاً حاداً، حيث أدركت قيمة حياتي التي شعرت بها تتسرب بين يدي والدي الذي انهال عليّ بالضرب لظنهِ أني كنت أتحدث مع رجل، وأخي الذي انضم اليه دون حتى أن يعرف السبب. كان ذلك لمجرد شك راودهم، فما بالك لو عَلِمَوا أني أتحدث مع امرأةٍ وليس رجل؟! امرأة هي حبيبتي! استجمعت كل قواي لأهرب من تحت ضربات أيديهم ورفصات أرجُلهم. شعرت يومها كم أحب الحياة، ولم أفكر في شيء سوى الحفاظ على نفسي وعلى حياتي.

ركَضتُ في تلك الليلة كما لم أركض في حياتي. لم يكُن هُروبي سهلاً، لكنني أستطيع القول أن طريقي كانت مُيسرة، ودون أن أفكر بما أفعله توّجهت لمجموعة أصوات حيث ساعدوني ووجّهوني لجمعية تساند الفتيات في مثل هذه الظروف، لا أدري كيف تتابعت الاحداث، لكني أذكر أني وجدتُ نفسي في مكانٍ لم أتخيل دخوله في حياتي، مكان يدعونه "ملجأ للفتيات في ضائقة".

أدخلتني تلك المرأة صاحبة الوجه البشوش لغرفة تحتوي على سريرين وخزانة، كان السريرين خاليين، قالت لي، باستطاعتكِ النوم هنا. جلست على احدى الأسرّة أصارع خوفي وأفكاري المشوشة، أعتقد أَن الوقت كان بعد منتصف الليل، بقيت على هذا الحال حتى رأيت فجر اليوم التالي.

وجدت نفسي في صباح اليوم الأول في مكانٍ غريبٍ عني مع فتياتٍ غريبات. فتيات لا يربطني بهنّ شيء سوى مصيرنا كضحايا للمجتمع. يوماً بعد يوم بدأتً أتعود المكان وقوانينه، وأتعرّف على الفتيات، كانت تحمل كلٌ منهنّ هَمّاً اخر ومشكلة أُخرى، والمشترك الوحيد بينهن هوهوية الجاني، مُجتمع بأكمله، هوالمُتّهَم الذي ثبتت ادانته مع كل الأدلة والبراهين، لكن الأحكامَ التي فُرِضَت عليه هي أحكام مع وقف التنفيذ وبلا شروط. ادركت خلال فترة مكوثي في الملجأ ان لا مشكلتي ولا مشاكل تلك الفتيات ولا جهل أهلي هو المأساة الحقيقة، وانما جهل مُجتمعٍ بأكمله.

مكثت في الملجأ عشرين يوماً مرّت كأنها عشرين سنة من عُمري، لم أفعل بها شيئاً سوى مصارعة خوفي الذي لم تكن لهُ حدود، خوفي من كل شيء وعلى كل شيء. كنت أبعثر أفكاري وأعيد جمعها وترتيبها من جديد لعلني أجد ما يساعدني على ما أنا فيه. كنت أعيد حساباتي ألف مرةٍ في اليوم،

أدقق فيها وأكرر طرح السؤال ذاته على نفسي، هل ما فعلته هو الصواب؟ الا ان الجواب يختلف في كل مرّة عن الذي سبقه. اختلطت عليّ الأمور والأفكار، كانت حيرتي حينها أكبر من أن أجيب نفسي على سؤالٍ كهذا، كنت بين نارين، بين نفسي، كياني، وجودي وحريّتي وبين أهلي، مجتمعي وقيوده وعاداته وتقاليده وحكمه عليّ.

كنت قد توصلت حينها الى نتيجة حتمية، وهي انه لن استطيع اكتساب شيء من دون تقديم تنازل عن شيءٍ اخر. كان من الصعب أن أتنازل عن أهلي لكن الأصعب من ذلك هو أن أتنازلَ عن نفسي. فكلاهُما عزيزٌ عليّ.

تخبطت بين العودة الى أهلي والمخاطرة بحياتي ان اختاروا التخلص مني، وبين السفر والحفاظ على ذاتي. كان همّي ألا يتأذى من أحبهم بسببي، لذا اخترت العودة الى البيت ومواجهة الجميع، من دون ادنى تفكير في الإسقاطات المترتبة عن ذلك فالأهم كان أن أتحمل أنا نتيجة أفعالي وليس الآخرين.

اكتشفت حين عودتي أن أحداً لم يعلم بهروبي سوى أفراد من عائلتي، فكان أهم شيء بالنسبة لهم هو ما سيقولوه الناس لذا كتموا الأمر، واكتشفت ايضا تكتم أخواتي، اللواتي كن يعرفن سبب هروبي اي خوفي من رد فعل والدي واخوتي على مثليتي، لم يعلم أحد من العائلة تقريباً عن مثليتي ولا حتى أبي، اذ اتجهت الظنون نحو علاقتي بشاب. المهم ان لا يعرفوا عن مثليتي،كان ذلك لصالحي، نوعاً ما، فقد خفف ذلك علّي المواجهة.

تدهورت علاقتي مع أهلي من سيء الى أسوء، لم يكن بيننا أي اتصال سوى أننا نعيش تحت سقف واحد، كل شيء حولي كان كذب وتأليف، الا علاقتي بأمي هي الوحيدة التي لم تتغير، كنت أعرف أنها دون ان تعلم بأي شيء

كانت تشعر بما يحصل معي، وبقيت دائما في صفّي دون ان تعلم ماذا يدور.

أمـا أخواتي الاتي علمن عن مثليتي كّن يحاولـن إقناعي بأن ما أنا عليه هو خطـأ رغم علمهن بأن لا صـواب او خطأ في هذا الأمـر، ولكني هذه المرّة لم ألتزم الصمت كعادتي، بل دافعت عن نفسي، رغم أني لم أرتكب خطأً لأكون متهمة، ولكني كنت أقول ما أفكر وأشعر به، وكنت أُظهر لهن حقيقة نفسي التي لا يمكن تغييرها، فلم أختر أن أكون مثلية،أنا مثلية، أنا هي أنا!

حاولـت أخواتي معي كل الطُرُق، مارسـن الضغوطات علـي وعرضنّ عليّ الذهـاب لأخصائية نفسـية بذريعة أن من شـان ذلـك أن يخلصني من عبء الضغوطات التي أمر بها، الا أن السبب الحقيقي من وراء ذلك هو ظنهنّ أن ذلك قد يغيرني. لم أعارض، كنت أعلم بداخلي حقيقة نفسـي، ولن يستطيع اي شيء تغيير هذه الحقيقة، ولكي أرتاح وأُريحهن وأثبت لهن أن مثليتي هي شيء ولد معي لا يمكن تغييره، وافقتهن على ما أردنه.

ترددت على أخصائية نفسـية لأكثر من خمسـة أشـهر، لا أنكِر أني كنت بحاجة لهذه الجلسـات ولكن ليس بما يتعلّق بمثليتي، فمشـكلتي ليسـت مع مثليتي بل مع عدم تقبُل عائلتي لي، ورفض مجتمعي لِما خلقني الله عليه.

كانـت هـذه الفترة أصعب الفتـرات التي مرّت عليّ، فقـد كانت المواجهات مع أخواتي صعبة وحادة للغايةً. كل شـيء من قِبَلِهن كان مخطط، كانوا يوهمونـي بالأكاذيب لكي لا أتحداهن، خوفهن من أن يعرف الناس أي شـيء عني كان واضحا، همهن الوحيد هو الناس وما سيقولوه الناس.

مرّ عامان على ما حدث، ما زلت اذكر السنة الأولى بعد تلك الحادثة، كانت

تلك السـنة الأخيرة لدراسـتي الأكاديمية في احدى الكليات العربية. علموا في الكلية عن هروبي، وذلك بالإضافة إلى ظهور شكوك حول مثليتي، حاولت زميلاتـي معاملّتـي وكأن شـيئاً لم يحصـل، إلا أنني كنت أشـعر بالهمس والنظـرات تتتبعني. لذا ابتعدّت عن الجميع، فضلـت أن أكون وحيدة على أن أكون موضع الحدث. كنت أشعر أحياناً أني ضحية أحكامٍ مُسبَقة فرضها مجتمعي عليّ.

لم أشـفق على نفسـي بل أشـفقت على تلك الفتيات لجهلهن، لعدم قدرتهن على تقبُّل مـا هو مختلف، أو عدم قدرتهن على التفكير أن هذه المثلية ممكن أن تكـون أختـك أو ابنتكِ أو أقرب صديقاتك. ما واسـاني فـي كل هذا هو وجـود زميلتان كنت أعلَم عن مثليتهما، وصديقةٍ أخرى علِمت عن مثليتي وتقبّلتني كما أنا.

أنهيت دراستي وابتعدت عن الناس. وجدت العزاء في دعم حبيبتي ومجموعة فتيات أصوات، اعتبرتهن بمثابة عائلة لي دون شـروط وقيود، فبيت أصوات هو البيت الدافئ الديمقراطي الذي حلمت به دائماً.

لم أشـعر فـي طفولتي بأننـي أنثى ولا حتـى ذكرا! كنت أنسـى انه عليّ التصـرف كأنثى واللباس كأنثى، فأنا لم أفكـر وأتصرف الا من منطلق اني إنسـان وليس أنثى أو ذكر، لم أشـعر يوماً ان جنسي هو الذي يُسيّرني، رغم أنـي أعتز وأفتخر جداً بأنوثتي. فكنت حين أنظر الى نفسـي في المرآة، أُعجب جداً بأنوثتي وبجسـدي الذي كان يميّزني كأنثى. ولكن ما كان يُذكرني بأننـي أنثى هم من يحيطون بي، نظراتهـم، كلامهم، تصرفاتهم المميزة لي، معاملتي كأقل من الذكر.

أبـداً لـم أرى كيف ارتدائي لفسـتان يجعلني أنثى! كمـا يعتقد أهلي، فقد كانـوا ينبهوني دائما إلى ضرورة إظهار أنوثتي. أذكر كيف أجبروني على ارتداء الفسـاتين في طفولتي، وأنا كنت دائما أقول اني أريد اللعب والفسـتان غيـر مريح للعب، ولكن لا حياة لمن ينادي. فلـم يكن عليّ كأنثى إلا أن أنفذ الأوامر.

بوصولي جيل المراهقة، اصبح من الصعب إجباري، ولكنهم لم يُقصّروا بالكلام والملاحظات لأفعل ما يُرضيهم. اذ ردّدوا دائما

"ليش ما تكوني مثل البنات، شوفي فلانه كيف تلبس دايماً متطقمة، كوني مثلها! بس انتِ دايما مثل الولاد لابسـة، افردي شعرك، البسي كعب..."

وما لا يُحصى من هذا الكلام. لم يريدونني أن اكون الأنثى التي اخترتها لنفسي.

كانت أنوثتي وشـعوري بأنني انسـانه كامله يكفيني ويُرضيني، ولكن أبداً لـم يُرضيهم. كانوا يريدونني كالأخريات اللواتي وُضعن في قوالِب المجتمع المتماثلة المخصصة للنسـاء، يصبون فيها كل الصفات التي يريدونها في الفتاه والتـي معظمهـا فُصّلَت لمُلائمة الذكر، واسسـوا لها العـادات والتقاليد البالية القديمة التي لم تعُد تلائم هذا العصر. ثم تباع الفتاه في سـن الثامنة عشرة، عن طريق عقد الزواج لتخدم الزبون، عفواً... الزوج! ولتنجِب الأولاد.

أمـا أنا فكنت دائماً المتمردة فـي نظر المجتمع لأني رفضت أن التزم حدود هذا القالـب، اختـرت أن أكون حـرة دون أي قوالب تقيّدني فـي تكوين فكري، شخصيتي وذاتي. أردت فقط أن أكون أنا وأختار لنفسي الحدود التي تلائمني.

لـم أنجح دائما في التخلّص من حدودهـم، ولكني حاولت دائماً أن أجد منفذاً

أرى فيه افقآ آخر. خسـرت الكثير بسـبب تلك الحدود وتعلمـت منها الكثير أيضاً. تعلمت الصمـود، تعلمت الصبر والتحدي والمواجهه، تعلمت أني ان أردت وصممـت على شـيئ اصبح لي، وأهم ما تعلمته هو أنه مقابل كل خسـارةٍ مكسب، ومن أجل الحصول على شيء يجب التنازل عن شيئ اخر، وتعلمت أنه دائما هناك وسـط بين ما نريده وبين ما يريده الاخرون وعلى الغالب الوسـط هو الحل.

أما الوسـط بين أهلي وبين مثليتي فوجدتها بعد أن عدت من الملجأ الى البيت، رغم نظراتهم القاسـية ورغم الحقد الذي أراه اليوم في اعين البعض منهم الا أنني لا أريد التخلي عنهم، لو اختار سـتةُ منهم رفضي فهناك أمي وخمسـة عشر طفلاً يحبوني اذ أحببتهم كما لم أحب يوماً، وأعطيتهم كما سأعطي لأولادي من نفسـي يوماً، على ذراعيّ حملتهـم وبيدي أطعمتهم والى صدري ضممتهم، بكوا معي وضحكوا معي، لا أزال أذكر لعبي معهم ورنين ضحكاتهم في أذني اعذب من الموسـيقى. هم من أحبهم ومن أجلهم أسـافر وأبتعد، ها أنا حتى قبل أن أفارقهم لا أستطيع الكف عن البكاء لمجرد التفكير في ذلك. لكني لأجلهم سأعود يوماً لأقص عليهم حكايات طفولتهم لنضحك معاً.

أنـا اليوم على علاقة بامراة رائعة، مرّ على العلاقة ما يقارب السـنتين، أشـعر بسـعادة معهـا وأحلم أن أقضي باقـي حياتي معها، ولا حـدود لحبي لها. لكن ظروفـي مـع أهلي ومجتمعي لا تتيح لي أن أعيش معهـا ولا حتى يوما واحداً بأكملـه، بليلـه ونهاره. لا أعتقد أن مـن الممكن لهذه العلاقـة أن تدوم بهذه الصورة، نلتقي سراً ونتحادث سراً. رغم الحب ورغم التفاهم ورغم كل شيء جميـل بيننـا، فاني أرى الفـراق حتمي، لا محال منه، لذا أحـاول أن أحدد أنا توقيـت هذا الفراق ولا أنتظر ذلك الحين الذي سأخسـر فيـه حبيبة وعائلة ونفسي. فلربما يكون من الممكن لي عبر ذلك أن أحدد وقتاً للقاء ايضا.

لــذا لن أتــرك الحياة تحدد لي وقــت الفراق، فهذا فراقي لحبي أنا، ســأقوم أنا باختيــار توقيته واختيار طقوســه، ســيكون حزينا لكني ســأجعله جميلاً، ســأزينه بالحب والأمل، سأفارق الحب بالحب، وسأشــتري له بطاقةً مفتوحةً للعودة...

لــذا ولكي أودع حبي أو أحافــظ عليه، لكي أحافظ علــى أهلي وعلى علاقتي معهم، لكي أحصل على حريّتي وأعيش متصالحةً مع نفسي ومع مثليتي عليّ ان اهاجــر لمجتمــع يحترم حريّتي. يحمل خروجي مــن بيت أهلي ومجتمعي ضريبــة، واحدة ووحيدة، الا وهي الزواج. قد يعني الزواج تنازلي عن مثليتي، الا فــي حالة تزوجت زواجاً مزيفــا، غير حقيقي، وهذا ما قمت "بترتيبه" مع شاب مثلي يعيش في الخارج ويواجه مع أهله ضغوطات مشابهه، لذا كنا الحل لمشــكلة الآخر. وها أنا اليوم أجهز نفســي للزواج ثم الســفر إلى المجهول، لكن يا ترى هل من عودة...؟!

أمي وحكي الناس

لم أبالي يوما بكره الناس لي لميولي الجنسية، ***لطالما آمنت بأن كل من يحبني حقا سيبقى على حبه لي حتى لو تبينت له هويتي الجنسية.*** بقيت على الرغم من ذلك في الخزانة، ليس من اجلي بل من أجل أمي، لطالما كان كلام واعتقاد الناس أمر تخشاه وتنشغل فيه، كنت أعرف بأنه لن يعجبها الأمر، على أقل تقدير.

نشأت وتربيت منذ الصغر على ما يشبه الوهم، وهم "العائلة المثالية". لعائلتي صيت وشهرة واحتساب في بلدتي، أقاربي معروفين ومن الأشخاص المهمين، بعبارة أخرى، أشخاص لن يكونوا على استعداد لتقبل فضائح تتعلّق بميول ابنتهم الجنسيّة. كنت دائما اعتقد أن المسئول عن اختلاق هذا الوهم هم أناس متعفنة تحاول إخفاء حقائقها وراء هالة من الكمال. تبين لي أنني كنت على حق، وكم كنت على حق.

حلمت دائما باليوم الذي اخرج فيه من الخزانة، حلمت بمجيء اليوم الذي أقول به لأمي: "أمي، أنا انجذب للفتيات!"، حلمت باليوم الذي سأتوقف فيه عن الكذب للجميع، وأُشهِر وأخيراً عن ازدواجية ميولي الجنسية. ألا تبدو تلك فكرة جميلة! في الواقع، كان ذلك كابوسا، لم يتسنى لي حتى أن أصل إلى مرحلة "إخبار أمي" بالأمر.

قلت لها أنها لم تفهم شيئا وباني لست الفتاة المثالية التي تحسبني، لا أريد أن أكون مثالية. قلت لها بان هناك شيء أخفيه عنها منذ سنوات، وهو... وهو بأني انجذب إلى الفتيات منذ أستطيع أن أتذكر نفسي. ربما قلت ما لا يجب قوله، "لمّا بعصب" أقوم بالتهور ونطق السخافات، كنت دائما على علم بذلك، لكني بالغت للغاية في هذه المرة. بكت طوال الليل وفي اليوم التالي أيضا، واستمر الحال على ذلك أسبوعا بأكمله.

استمرت بالبكاء على مدى أسبوع وألقت باللوم على نفسها لفشلها في تربيتي،

لكن حصة الأسد من اللوم ألقتها على كل العالم؛ على شبكة الإنترنت، التلفاز، أصدقائي وحتى المدرسة التي كنت أتعلم فيها لعدم تدريسهم الدين الإسلامي، السبب (وفقا لادعائها) الذي أبعدني عن الدين وبداية وقوعي في "الخطيئة".

بعد بضعة أيام، وجدت نفسي امثل أمام أخصائية نفسية، فقط لكي "تحل عني" وتتركني وشأني آملة أن يرجع كل شيء إلى سابق عهده. كانت الأخصائية النفسية لطيفة للغاية (سواء كان ذلك لكونها شخص لطيف، أو لأنه كان يدفع لها مقابل ذلك كثيرا). خسارة فقط أنني "مَرمَرّت" حياتها أسبوعيا على مدى عدة أشهر بدلا من التعاون معها. وضّحت لها من أول جلسة، أن لا تكون عندها شكوك، وان لا تتعب نفسها "ليست لدي نية للتغيير، أحب ما أنا عليه وأنا حقا لا أريد التغير من اجل أي كان، من جهتي من لديه مشكلة مع ذلك فليذهب هو إلى أخصائي نفسي! أنا بخير، هم المخطئون". بعد أن انقضى ما فيه الكفاية من الوقت، قررت أن أقول لها أنه "هدا هو"، لن أعود اليها مرة أخرى. طلبت من الأخصائية النفسية احترام قراري للكذب على والدتي والقول لها أن كل شيء على ما يرام، تم حل مشكلتي وقد "رجعت إلى الطريق الصحيح". هكذا فعلت، في جملة واحدة قصيرة جدا، دون تقديم الأسباب ودون منحها فرصة للاستئناف أو المناقشة، "لا أذهب إليها بعد الآن لأنني أصبحت بخير!" ، وهكذا انتهى الموضوع بعد بضعة أشهر ولا نهاية من المعارك. لا تزال تذكرني من الحين إلى الآخر بان آرائها لم تتغير، وربما لن تتغير، مع جمل مثل "أتمنى لو أنهم كانوا قتلوني وقتلوا كل من كان هناك" لأحد جرحى حادث إطلاق النار على المركز المثلي [1] الذي تحدث من على التلفزيون، ثم وللتأكيد على موقفها تقوم بتغيير القناة.

لست نادمة على فعل ذلك، إلا أن معرفتي بأن الشخص الأقرب لي يمكنه القيام بذلك تحز في قلبي. وستبقى أمي دائما والى الأبد متدينة، دينها وما سيقوله الناس أهم وأبدى من سعادة ابنتها، وإلى الأبد سوف أبقى ازدواجية الميول الجنسية. نهاية سعيدة، لن تكون لهذه القصة.

1 في تاريخ 2.8.2010 تم اطلاق النار على مركز لمثليي ومثليّات الجنس الشباب والشابّات في تل أبيب و الذي أسفرَ عنهُ وقوع ضحايا مثليين ومثليات وجرح آخرين بجروح بالغة.

فضوليّة

لكل شخص منا قصة حياة مثيرة فيها فرادة تكون محصول توجهنا ورؤيتنا للعالم. "شو عندي أحكي، عشت حياة عادية للأفضل وللأسوأ" تتردد هذه العبارة على لسان الكثيرون.

ليس لنا إلا أن نتمرد ونحاول إظهار عكس ذلك، إظهار حقيقة أن كل شخص منا هو عالم بأكمله من تجارب ومشاعر وذكريات.

لا أعرف لماذا قررت أن أروي قصتي، أعتقد أن الأمر كان بمثابة مفاجأة بالنسبة لي. جلست وفكرت ما الذي يفترض أن أرويه عن حياتي. رجعت في ذاكرتي إلى ما قبل ست سنوات، كنت حينها في العشرين من العمر، كنت اجلس أمام الحاسوب وأدردش في إحدى مواقع الدردشة، ضجرة ومفتقدة لأي هدف أو غرض.

دخلت إلي في يوم ما محادثة شخصية من امرأة ما، لم أفكر كثيرا في الأمر وقلت لنفسي أنها مجرد دردشة انترنتية. لم أومن يوما في العلاقات من على أمواج الانترنت. تحدثنا عن العديد من الأمور والمواضيع، كانت تلك محادثة طويلة ومثيرة. بدأت شيئا فشيئا في التحدث حول أمر لم أجرؤ على الحديث فيه على الإطلاق من قبل. شعرت بعدم الارتياح، وقلت لنفسي "ما الذي تقوله، كيف تجرؤ على التحدث معي على هذا النحو" كانت هذه الأفكار تراودني مع قراءتي لما تكتبه لي. أثارت فضولي، ولكنني تمسكت في حقي "بالحفاظ على الصمت"، لم يكن هناك حوار، هي فقط من تكتب. إلا أن كتبت لها أني أريد أن أجرب أن أكون على النحو التي تصفه مع فتاة، وأريد أن اشعر ماهية حب فتاة لفتاة. انتقلنا للدردشة على الماسنجير لساعات طويلة. استمر تواصلنا من على الانترنت لبضعة أيام قررت بعدها أني أريد أن أكون مع فتاة، أمر أدرك عدم قبول المجتمع له.

التقينـــا بعد ذلك وذهبنا إلى مكان لطيف جدا وجميل، مكان ذا منظر خلاب، رَجعَــت مرة أخرى إلى نفس الحديث وسـأَلتني ماذا أريد من الحياة؟ قلت إني كنــت دائما في انتظــار أن أكون مع فتاة لكني لم أجــرؤ على تنفيذ ذلك، كنت أخشى أن ينظر إلي العالم بشكل مختلف، كأني قاتلة أو مجرمة.

كنت مأخوذة بلمســة يدها على وجنتاي، بإمســاكها ليــدي عند تقبيلي، أثارتنــي وجعلتني أدمن ذلك. رأيت من خلالها عالما مثليا رائعا، ليس هنالك ما نخجل به، رغم أني اعترف أني كنت مرتبكة في البداية. مع كل هذا، أبت التســاؤلات أن تفارق أفكاري، كان عندي لا نهاية من الأسئلة، ولم اعرف أين ابحث عن الإجابات.
كيف ســيتقبل العالم من حولي الأمر؟ ماذا ســيقولون عني؟ هل سأبدو لهم غريبة؟ "رغم إني ما زلت في الخزانة".

كنت دائما فضولية، كيف عســى أن تبدأ المرحلة الأولى، إلى أين تؤدي؟ أين نصل؟ ماذا سيقول أهلي وأهلها إن اكتشفوا الأمر. كيف ستكون ردة فعلهم؟ هل ســينظرون إلينا بطريقة مختلفة عن السابق؟ هل سنبدو لهم مخلوقتان غريبان تحتاجان إلى علاج نفسي؟

تركنــا العلاقة تنمو بصورة تلقائية وبســكينة، علــى الرغم من انه لم يكن ســهلا منذ البداية، دائما علمت بان كل بدايــة جديدة تحمل معها المصاعب وهنــاك غير المعروف، علينا أن ننتظر ونتوقع دائما الأفضل وان نبذل جهدنا لإنجاح العلاقة.

كانت أول حب مثلي لي، أحببتها كثيرا وتعلقت بها كثيرا، لم أستطع أن أبدأ نهاري من دون أن اســمع صوتها أو أرى وجهها، ولكن مع مرور الوقت تبين

لي للأسف بأنه لا يمكن لحياتي أن تستمر معها لأسباب عديدة أهمها سلوكها تجاهــي. إني بحاجة لمن تقدرني وتحترمني. صحيح، لأي زوج أن يتخاصما، لا يتخاصم من لا يحب، لكن هناك دائما تسويات وتنازلات. أما هي فلا تستطيع التنــازل ولا فقدان الســيطرة علي، الأمــر الذي دعاني إلى إنهــاء علاقتي بها. كانت قد اســتمرت علاقتنا مدى عامين، كان الم الفراق والانفصال شديدا، علي وعليها.

هــذا جزء صغير من قصتي، من تجربتــي الأولى في العالم المثلي، عالم مثير ومليء بالمفاجآت. أبدا لم أتصور أن هذا العالم مختلف إلى هذا الحد وجميل إلى هذا الحد. أرى أن على العلاقة أن تبدأ من تلقاء نفسها من دون شروط وأوهام، عليهــا أن تحتمل الصعود والهبوط وان لا تســلم عند مواجهة المصاعب، علينا ان نعرف كيف نعطي ونأخذ، علينا أن لا ندع عاطفتنا تســيطر على فكرنا، فمن شان ذلك أن يظلل مسار العلاقة.

تعلمت الكثير، آمل عدم تكرار الأخطاء التي وقعت بها سابقا. فما كان للمرارة إلا أن تُنسى ولمذاق صداقتنا وحبنا الطيب إلا أن يبقى.

المرة الأولى التي وقعت فيها في حب امرأة

أحـدق بالفــراغ، غالبا ما يكون حائط الغرفة مملا ولكنــه يبدو في هذه المرة ذو ملمــس مثير للاهتمام. أفكر بكل ما هناك وبكل ما هو غير موجود. أفكر فيها. كيف بدأ كل شيء وكيف انتهى. تعود عيناي إلى الشاشة، أرى خليط مــن الكلمات عديمة المعنــى. كيف أبدأ الحديث عن أول حب حقيقي لي. أين اختفت؟

لم تكن هناك مرحلة في حياتي شعرت فيها بان الفرصة لم تعطى لي لأكون محبوبة. كانت عندي علاقات عديدة مع رجال، انتهت غالبيتها فبل أن تبدأ، بعد مرور وقتا ما مع كل منهم كنت أســأم العلاقة، أحسست بانتقاص هذه العلاقات لطعم العاطفة. غالبا ما كانت تشغل النساء في حياتي دور صديقات حميمات. كنت انجذب في صغري إلى النساء، إلا أنني تجاهلت وأنكرت وجود هذا الشـعور بمهارة. ***شعرت في السنوات الأخيرة بحاجة ملحة لتحقيق انجزابي الغير واضح للنساء، شعور كان يتملكني خلال كل علاقة أكون فيها مع رجل.*** ظننــت في البداية أن الأمر مجرد فضول ورغبة في التعرف على عالم قريب وغريــب في نفس الوقت، هذا ما ظنته أيضا إحــدى صديقاتي. ومع ذلك لم تكن لدي الشجاعة لممارسة ذلك.

تعرفت عليها قبل ســنوات عديدة في حفلة عيــد ميلاد عن طريق أصدقاء مشــتركين. كانت طويلة القامة وتبرز بين الجموع، تملك ابتســامة تأســر القلوب وعيون تدعوك إليها. ارتدت تنوره بيضاء قصيرة وبلوزة بيضاء ضيقة أبرزت مفاتن جســدها الأنثوي الجميل. كان مــن الصعب تجاهلها، حتى من قبل الرجال الذين كانــوا يحومون حولها في الحفلة. قدمت مع صاحبها إلى الحفلــة. يبدو أن الغيرة كانت تُصيبه مع كل نظرة وجهت نحوها. تحدثنا في الحفلة على أشياء ليس بالمهمة. حدقت بها بفضول طوال الوقت وانتظرت

فرصة أن أكون معها لوقت قصير، أمر لم يحدث للأسف. في نهاية الحفل فهمت انه لا توجد عندي سبيل للوصول إلى البيت انتهزت الفرصة وطلبت منها ومن صاحبها إيصالي معهم.

أكملنا ثرثرة في السيارة، كنت متعبة جدا وفي حالة سُكر متقدمة، أنزلوني أمام مدخل بيتي، واتفقنا في أن نبقى على اتصال. توثقت علاقتنا على مر الزمن وأصبحنا نتحدث على الهاتف لساعات حول أمور تافهة، التقينا مرتين في الأسبوع في المقاهي والمطاعم في المنطقة التي نعيش فيها. تحدثنا عن الحياة خصيصا عن الرجال، حول علاقتها بصديقها وعلاقتي بصديقي السابق. ذكرت في إحدى المرات علاقة كانت لها مع فتاة. سألت وقالت أنها تنجذب للنساء. أثار الأمر اهتمامي إلا أننا لم نتعمق بأبعد من ذلك. كانت هناك أوقات كنا نلتقي في بيتي أو في بيتها وأحيانا أخرى كان يرافقنا صديقها للحفلات، وكان واضحا بأنه يشعر مهددا من حضوري.

أنا استطع أن افهم لماذا كانت تقضي معظم وقتها معي. بعد نحو شهرين انتهت علاقتها بصاحبها. بدأنا بالخروج معا، كل لقاء كان أفضل من سابقه وعندما ذهبت شعرت بفقدانها. واصلنا الذهاب إلى الحفلات مع رفاق لي. التقينا في احد المرات عندها، لم يكن أحد في البيت، قررنا دعوة صديق مشترك. افتتحنا السهرة في البيتزا وفيلم ما. وعندما بدأ الكحول في التدفق من الثلاجة تحول اللقاء البريء إلى رقص صاخب، رقصنا وقفزنا معا وعلى انفراد. شعرت بيد تنزلق إلى داخل فخذي الأيمن، التفت نحو اليد ورأيت أنها هي وان هذه يدها. كان ذلك شعورا جميلا وممتعا كانت يدها ناعمة وكادت تلمسني هناك. ركزت نظري في عينيها فخفضت يدها. لم نتحدث عن تلك الحادثة لأيام عديدة لكن ما زلت أذكر حتى اليوم لمسة يدها على فخذي.

لم استطع إلا أن أفكر في ما حدث كل الوقت، لم يكن لي خيار إلا أن أتحدث فــي الموضوع معها. كانت عندي في ذلك اليوم، عندما بدأت في الحديث عن الموضوع اعتذرت لي فورا، أخبرتها أن لا حاجة للاعتذار لأني اسـتمتعت لمسات يدهــا، اعترفت لي أنهــا تنجذب إلي. كان يجب أن تذهــب لان الوقت أصبح متأخرا، تمشــينا معا إلى محطة الباص في صمت، نســترق النظر إلى بعضنا. عندما وصلنا المحطــة نظرت إلي نظرة حالمة وقبلنا بعضنا. كانت هذه المرة الأولى التي اقبل فيها امرأة، كان الشـعور لطيفا وغريبا في الوقت ذاته، فهي امرأة. على ما يبدوا شـعرت هي بذلــك وتراجعت. كانت حافلتها قد وصلت وكان عليها الصعود. عرفت باني لن أراها لأسبوعٍ. نظرت إلي في حزن لحظة صعودهــا إلى الحافلة. ظننت إني ارتكبت خطــأً، برجوعي إلى البيت وجدت نفسي ابكي لأيام بعدها.

رغبــت في رؤيتها مجددا، اتصلت بها وقررنا أن نتحدث عن كل شــيء. بعد حديــث طويل طرحنــا إمكانية بناء علاقــة بيننا. كنا نخــرج معا للبارات نســترق النظر والقبل الخاطفة من بعض. كان الأمر مربك وساحر في نفس الوقــت. كنــا نلتقي في بيت الواحدة الأخرى، ***نغلق الباب وتنســاب تلك اللحظات التي لا تنســى من اللمس والإحســاس القــوي الخارج عن كل سيطرة.*** كان ذلــك حبا رائعا بكل ما يحمله من معاني. كانت تبتسم عيوني بمجرد رؤيتي لها واشعر وكأني احلق بين الغيوم. لم أرد أن اهبط ولو للحظة واحدة إلى الأرض الباردة.

كان يكفيني أن تنظر إلي وتبتســم. التقينا على مدار أســبوعين انجرفنا في سيل من المشاعر الرائعة. وفي هذه المرحلة بالذات بدأت بالابتعاد، توقّفَت عن الرد على الهاتف أو على رســائلي النصية، وقبل أن افهم ما يجري قالت لي إن

الأمـر صعب عليها وإنها لا تسـتطيع بعد وتحتاج إلـى وقت للتفكير لوحدها. منحتهـا كل الوقـت التي طلبته والحـزن والإحباط يرافقنـي، حتى أصبح الأسبوعين شـهرا، أدركت حينها أنها معركة خاسـرة منذ البداية. لم نكن علـى اتصال لمدة نصف السـنة. فكـرت فيها كل ليلة قبـل ذهابي إلى النوم وكل صباح عندما اسـتيقظت. لم اسـتطع اسـتئصالها من قلبي وعقلي لذا قررت أن أخرجها من حياتي تماما.

مرت عدة أشهر على قراري الأخير أدركت من خلالها كم كنت على خطأ، ما كان يجب أن ادعها تذهب، علي أن أجد طريقة لإعادتها إلى حياتي مجددا. قمـت بالاتصـال بها، كنت أتذكر صوتها الناعـم إلا أن الصوت الذي رد من على الجانب الآخر من الخط كان قاسيا ومتألما. شعرت بالسوء ولم أكن أقوى على خيبة أمل أخرى، تراجعت عن ما كنت فيه.

بعد نحو شـهر حاولـت مرة أخرى. التقطت الهاتف وبـدأت يدي ترتجف. رن جـرس الهاتف. أجابت. لم أتوقع أن تجيب، بعد حديث طويل دام سـاعة من حسـاب النفس قررنـا أن نجتمع. التقينـا في مجمع للتسـوق. كانت تبدو سـعيدة وسـعدت من اجلها، قالت أن لها شـريك حياة وأنها تمكنت من المضي قدما وهي راضية. أجبرت نفسـي على الابتسـام، ابتسامة مزيفة، فهي راضية وسعيدة من دوني. مر الكثير علي وعليها منذ ذلك الوقت. كانت هناك أوقات مؤلمة حتى الدموع وكانت أخرى سـاحرة حتى الألم. لم نعد جزءا من حياة بعضنا البعض. لكنني لن أنسى أبدا المرة الأولى التي وقعت فيها في حب امرأة.

حياتي

أنا وهيَ

بدأت حياتي كحياة أية فتاة مراهقة عادية، رغم وجود شـيء ما في داخلي مبهم كنت أود فهمه. كانت تربطني علاقة حب بشاب دامت سنة، قمت أنا بإنهائها لسبب غير مفهوم. على الرغم من عطفه الكبير وجود جاذبية معينة، تفاهم ، قررنا الانفصال. كانت تلك نقطة التحول التي بدأت فيها استكشـاف نفسـي. قـررت أني لا أريد أن أخوض تجربة حـب جديدة؛ أريد أن أكون مع نفسي لفترة معينة.

أذكر عندما كنت في الصف الثامن أن صديقتي كانت قد قدمت لزيارتي كعادتهـا فـي كل يوم، لكن في هـذا اليوم تصرفت بصـورة غريبة بعض الشـيء. قالت إنها شـاهدت على التلفاز صبيتين تتعانقان وكانت شـفاههن ملتصقة، وبأنها قد أعجبت بالأمر وتريد تجربته معي. ظننتها تمزح. سـألتها مجددا "تريدين تجربته معي؟ شو مجنونة أنت؟" قامت بإقناعي، اقتربت مني وقبلتني، وبدأنا بالضحك عما فعلناه.

عرضـت علي في اليوم التالي إعادة ما فعلنـاه بالأمس. في هذه المرة، كنت أكثـر حماسـا للأمر. اقتربنا، قبلتنـي وقبلتها، عانقتهـا وقلت لها كم هي صديقة غالية عليّ. واسـتمرت حياتنا الأخويـة وعناقنا وقبلاتنا هذه حتى بدأت بالشـعور بأن مـا نقوم به هو أمر غير طبيعـي. فتوقفت عن مجاراتها. استمرت صداقتنا على الرغم من ذلك، بأمل نسيان ما دار بيننا.

أتذكر كم كنت معجبة في تلك الفترة بمعلمتي. كان قلبي يدق بشـدة حـين أراها، كنت أنسـى مَن حولي حين تحاكيني. كـم تمنيت لو توقف العالـم من حولي وبقيت وحـدي أنا وعيناها. رغـم كل ذلك تجاهلت تلك المشاعر واستمرت حياتي على روتينها السابق.

مرّت سنوات عديدة وأنا لا أزال استكشف نفسي. كانت لي صديقة التقيت بها صدفة، تبادلنا أرقام هواتفنا وبدأنا بالتكاتب عبر الإنترنت. كنت اعرف دائما كم عظيمة تلك الفتاة، وكل من حولي يعرف ذلك. كان ذلك يزيد من محبتي لها. كنت أعيد على مسامعها مدى تقديري لها وكم أنا سعيدة باقترابنا من بعضنا وكم أتمنى أن يستمر ذلك إلى ما لا نهاية. كنت مستعدة لأقضي يومي بأكمله أمام الحاسوب فقط بهدف الحديث معها. كانت تفهمني، تجذبني نحوها، وفي كل يوم أحبها وأتعلق فيها أكثر.

تقابلنا في احد الأيام صدفة، واقترحت علي الانضمام إليها لبركة السباحة. جّن جنوني، صرخ قلبي من الفرحة. ظاهريا حافظت على هدوء معين، إلا أن ضحكتي كانت قد غطت وجهي. كانت هنالك كيمياء رائعة ما بيننا، لكننا خشينا الحديث عن الموضوع، خشينا الاقتراب. دخلنا الجاكوزي وكنا وحدنا. جلست كل منا في طرف. بعد هنيهة بدأت بالاقتراب نحوي واخذ قلبي يدق مثلما لم يدق من قبل... التصق جسدها بجسدي وسألتني إذا ما كنت اشعر بما تشعر به هي. كنت أرتجف من الفرح. أجبتها بكل صراحة أني أحب ذلك وباني أريدها أن تبقى مني قريبة.

تعانقنا وتشابكت أيدينا. كنت على وشك البكاء لتذوقي طعم السعادة الحقيقية، للانجذاب الحقيقي وللحب الأول. انتهى يومنا لسوء الحظ وذهبت كل منا إلى بيتها ترافقها ابتسامة ارتسمت على وجه كل منا وشعور لا يوصف من السعادة. بعد ساعة بعثت لي رسالة نصية تقول بان هذا اليوم كان من اسعد أيام حياتها، وبأنها قد اشتاقت إلي. قرأت رسالتها مائة مرة، وفي كل مرّة ابتسمت من جديد. أجبتها باني سعيدة جدا، وباني على انتظار لقاء مجدد.

وهكذا بدأت قصتنا... *في كل مرة نلتقي ننسى كل من حولنا. يأخذنا الحديث ساعات عديدة، لأنها كل ما احتجته وكل ما أردته من هذه الدنيا.* بعد مرور فترة ما على علاقتنا، قالت لي أنها ستأخذني إلى مكان معين وبأنها بحاجة للتكلم معي بشكل طارئ . اعتراني الخوف... ماذا يدور في رأسها؟ ماذا فعلت؟ دار في رأسي مليون سؤال. أخذتني إلى جبل عالي ومكان هادئ لنتمكن من التحدث بهدوء وبدون إزعاج. كانت عيناها مبتلة بالدموع وكلها ترتجف، مما زاد من خوفي وقلقي. عانقتها وقلت لها "حبيبتي تكلمي." صارحتني بأنها تحبني حبا جنونيا، بأنها تنام وتستيقظ وهي تفكر بي، تعد الدقائق لرؤيتي ولا تعرف ما تفعل بعد... كانت تتكلم وتبكي في آن واحد... أبكتني، سرتني وجننتني... عانقتها لفترة طويلة وقلت لها بأن ما أشعره نحوها هو كل ما تمنيته واني الآن متأكدة من مشاعري وحبي الكبير لها. كنت كأني أعيش حلما، لم اشعر بان هناك شيء غريب بما أقوله، افعله أو أشعره.

مدّت لي يدها وسألتني إذ كنت مستعدة لخوض تلك التجربة معها، وان كنت أريد أن أكون ملكها وان تكون هي ملكي. نظرت إليها بابتسامة تزينها الدموع وأجبتها بأني أوافق على التحدي، أوافق على حبها وجعلها لي وحدي. انقلبت حياتي رأسا على عقب منذ تلك اللحظة. أصبحت إنسانة أخرى ترى الحياة من زاوية مختلفة.

أحبتها عائلتي. كنت أسعد إنسانة في الكون. خضت معها مصاعب، لحظات جنون وفرح وألم. كانت بجانبي في كل مرّة احتجتها، تشاركني الفرح والترح. كانت كل حياتي وما فيها. كانت تلك أجمل سنة ونصف عشتها في حياتي. كان حب خياليا، حب أبديا... حتى قدم يوم الفراق... واستيقظنا من هذا الحلم...

فترة نسيانها كانت أصعب فترة في حياتي. هكذا بدأت قصتي مع حبيبتي، وهكــذا انتهت... في كل مــرّة أراها القي نظرة إلــى ماضينا وأتذكر أجمل تجربــة في حياتي، على أمل أن تجد كل منا نفس الحب الذي كان يجمعنا أنا وهيَ.

مصالحة مع الذات

لا أدري كيف أبدأ حكايتي؟ تعودت الحديث عن مشاكل الآخرين ووجدت نفسي عاجزة عن كتابة حرف واحد حول نفسي. ما زالت تعيش في داخلي تلك الطفلة التي لم يتعدى جيلها أصابع اليد. تلك الطفلة التي كانت تحكي لساعات طويلة عن مغامرات أقرانها ولكنها سرعان ما تصمت إذا ما تساءلت أمها عما فعلته هي في الروضة.

أحاول البحث في ذاتي. أتساءل لماذا افتقد القدرة على التعبير عن مكنون مشاعري؟ هل كنت ومازالت أشعر بعدم وجود أية قيمة لما أفعله؟ ربما يعود ذلك لشعوري باختلاف تفاصيل حياتي اليومية عن تفاصيل حياة الأطفال الآخرين. علّقتْ أمي ذات يوم على تأخر زواجي قائلة بأن ذلك كان واضح منذ طفولتي، فلم أحتضن دميتي وأتظاهر بأنها أبنتي مثلما تفعل كل الفتيات. أظنها كانت تلوم نفسها بصوت عال على عدم التدخل المبكر في حياتي وفرض نمط تربية تقليدي يؤهلني لأن أكون زوجة. ولم ارغب في حينها التسبب في صدمة عصبية لها، على الرغم من رغبتي في مصارحتها بأن ذلك لم يكن ليجدي نفعا لأنني مختلفة أميل للنساء. فما كان لي إلا أن أتجاهل تعليقها. فعلى الرغم من تفوقي في دراستي وفي عملي، شعرت أن كل ذلك ليس بالكافي بالنسبة لها. فما تريده في الحقيقة هو أن أكون زوجة وأما لأحفادها.

لكني وُلدت مختلفة عن قريناتي لحكمة أو نقمة لا اعرف لها سبباً. لم أتخيل نفسي، يوما ما، بين ذراعي رجل، بل تخيلت نفسي أحتضن امرأة . كانت فتاة أحلامي الأولى مُدرّسة العلوم في الصف السابع .أتذكر كيف بكيت لساعات عندما مرضت ونقلت إلى المستشفى. ظن الجميع أنني أبكي أستاذتي ولكنني كنت أبكي فتاة أحلامي التي تتألم أمام أعيني. لم أستطيع تفسير تلك المشاعر في تلك السن المبكرة .

كنت أفتقد إلى أية معرفة عن الجنس بكل أشـكاله. دخلت المرحلة الثانوية ومعلوماتي الجنسـانية تشـابه ما في القصص الأسطورية. أتذكر أني كنت قد غسلت وجهي عدة مرات بعد أن قبّلني خالي لظني أن تقبيل الرجل للمرأة يـؤدي إلى الحمل. صُدمت صديقتي حين أخبرتهـا بذلك وتطوعت بإمدادي بالمعلومـات، إلا إنني كنت أشـعر بالغثيان عندما أتخيل أنه سـيأتي يوم أقف فيـه عارية أمام رجـل. حاولت الهروب من قدوم هذا اليـوم. كان العمل هو سـبيلي الوحيد للهروب من هذا المصير الحتمي التي سطّرته العادات والتقاليد على كل امرأة عربية. أتاح لي عملي فرصة السـفر لبلاد بعيدة، والتجول ما بين معسـكرات النازحين والمشـردين من الحروب وتسـجيل قصص وحكايات تَقَشـعِر لها الأبدان، أعيش بعضها وأستمع إلى أكثرها، والتي وعلى اختلافها ترجـع دائمـا في خلفياتها لعدم قبول الآخر. كنت أرى جزء من نفسـي في كل قصة، أنني كالآخر المنبوذ عن أهله وعشـيرته. بقيت لسـنوات أحاول التظاهر بأن كل شـيء على ما يرام ولكنني لم اسـتطيع الاستمرار في هذه المسرحية الهزلية.

أول علاقـة لي مع امرأة كانت قبل ثلاث سـنوات، لفظتُهـا بعد ليلتنا الأولى لعلاقاتها المتعددة مع الرجال. شـعرت بالغثيان لفكرة مشاركة أي إنسان آخر جسـد محبوبتي، وذلك بالإضافة إلى عدم مراعاتها لخصوصية علاقتنا، فقد أمسـت ذكرى هذه الليلة محور حديثها مع أصدقائها. منذ ثلاثة سنوات وأنا أحـاول إنكار مـا حدث في تلك الليلـة والتظاهر بأنها لم تكـن إلا رغبة مني في التجربة، ولكني كنت أكذب على نفسـي، فحاولت أيضا تجاهل وتبرير مقدرتي على معرفة أصحاب الميول المثلية بسهولة، بما في ذلك انجذاب الفتيات المثليات إلي.

خـلال عام 2008، توالـت علي المصائب بداية من مـوت والدي وإصابتي في

حادث، ثم موت والدتي المفاجئ. تحملت كل هذه المصائب وتمكنت في الوقت ذاته من انجاز عملي على أحسن وجه، لدرجة أني أصبحت مضرب الأمثال بين مدرائـــي في العمل إذا ما أشـــتكى أحد زملائي على عـــدم إمكانيته على العمل متعذرا بالمشاكل الشخصية .

لكن لم يدرك أحد أنني لم أعد قادرة على الاســتمرار في العمل في دولة تبعد عــن وطني بآلاف الأميال، لم أشــتكي لأحد حجم المشــاكل التــي عقبت وفاة والــداي. كنت أتحدث على الهاتف لســاعات محاولة ترميم بناء متصدع، إلا أن محاولاتي هذه باءت بالفشــل. عزمت على الاســتقالة ولكــن مديري في العمل عــرض علي أخذ أجازة لأي مدة أريدها. عدت لوطني في أجازة لثلاثة أشــهر. فــور عودتي، عَرَض علي صديــق وظيفة، قبلتها علما بانــي أجد صعوبة في الاســترخاء والبطالة، فلم أعتاد الاســترخاء على الأريكة في المنزل حتى خلال العطلة الأسبوعية، فكثيرا ما أجد عمل ما أقوم به، ما بالك بثلاثة شهور كهذه.

ربما كان ذلك ما يســميه البعض بالقدر، لقد كان قــدري أن أراها وأقابلها، لــم تكن مجرد فتاة أحلام أو مغامرة عابرة ولكنها المرأة الوحيدة التي ســرقت مفاتيــح قلبي وعقلي. قابلتها لمرة واحدة ولكني لم أســتطيع نســيان وجهها الــذي لم يفارقني لحظة منذ أن وقعت عيناي عليه. جذبتني عيناها المملوءة بالحزن والعناد والذكاء، شعرت بصدق كل حرف من كلماتها، وجدت في نظراتها تعابير إنسانية، فرحت لرؤية تلك التعابير بعدما ظننت أن المادّية قد تمكنت من محو هذه التعابير من على وجوه البشر.

كنت في أسوأ أحوالي النفسية، عائدة منذ أيام من منطقة اشتد فيها القتال، آلاف المشــردين والجرحــى من غير مــأوى أو طعام أو شــراب، آلاف القتلى من بينهم أطفال ونســاء وشيوخ، سلطات قمعية ترفض السماح بالإغاثة الإنسانية

للمتضررين. إلا أن حالة الألم واليأس والتشاؤم تبدلت بضحكات وابتسامات وتعليقات ساخرة من الجميع، شعرت برغبتها في الحديث عن الحرب ولكنني لم أكن راغبة في سماع أي شيء عن ذلك الموضوع، أردت سد أذني والهروب بعيداً. لم أكن قادرة على تحمل المزيد من الحكايات المأساوية، فما كان لي إلا أن أغير الموضوع أو أتجنبه. أنقضى اللقاء وبقيت صورتها أمام عيني، وصوتها لا يزال يتردد في أذني. بعد لقاءنا بأيام، وددت التواصل معها ولكنني كنت لا أزال في مرحلة من مراحل إنكار هذه المشاعر، كما أنني لم أعرف شيئا عنها. حاولت التواصل معها عبر البريد الالكتروني ولكني تراجعت حتى عن كتابة رسالة. تملكتني الشجاعة، لأول مرة في حياتي، وحكيت لصديقة لي أجنبية عن تلك المشاعر وما جرى في اللقاء. كان رأيها أن ميولي واضحة لكثيرين منذ زمن، واستغربت بعدم إدراكي لها، حاولت تشجيعي على التواصل مع الفتاة لكن دون فائدة. لا أظنني أستطيع حتى كتابة رسالة صداقة أو السؤال هاتفيا عنها. انني لا أزال في حالة مصالحة مع الذات، لا أريد الدخول في تجربة أو مواجهة الرفض في هذه المرحلة.

ارتحلت إلى الكثير من بقاع الأرض هربا من ذاتي وإخفاءً لاختلافي، ولكن هذه الذات ترافقني للأبد، وهذا الاختلاف سمة من سمات تلك الذات،
وقتل الذات ودفنها في التراب يعني موت روحي الهائمة. ربما أشفق على نفسي وأسرتي من الاعتراف بميولي المثلية ولكني اليوم لدي الشجاعة بمواجهة نفسي وقبول اختلافي والتصالح مع ذاتي وربما حتى محاولة مصارحة الآخر مستقبلا باختلافي.

هيا سليمان
القاهرة
آب 2009

مشواري
حتى الفجر

قطع من
”أحجية”

مشواري حتى الفخر

ما زلت أذكر الأفكار التي جالت في خاطري عندما كنت في السادســة من عمري، رغم مرور تسـعة عشر عاما عليها. أذكر الأفكار النقية، الدافئة التي ما زالت ترافقني حتى يومنا هذا. اذكر حبي للنساء وكم أحببت أن أكون قريبة منهن، وكيف كنت ارسـم في ذهني صورة لمستقبل مشرق. ***لم يكن حب النساء غريبا أو غير طبيعي، بل على العكس، اعتقدت باني الأكثر طبيعية وغيري من الناس هم غريبي الأطوار والاسـتثنائيين.*** أما اليوم، وللأسف، في سـن الخامسة والعشـرين من العمر يدفعون بي إلى الشـعور بأنني أنا المخلوق الغريب وغير الاعتيادي.

لم تكن نشـأتي كفتاة مثلية بالسـهلة. مرت علي فترات كنت اكره فيها حقيقة أني ولدت على هذا النحو، وفترات أخرى فكرت بان حياتي لا تستحق العيش، لا بوجود كل هذه الآلام والأحزان فيها. سـهرت ليال عديدة كنت أعد فيها السـاعات لبزوغ الصباح. كنت اقلب سيناريوهات عديدة في فكري لصـور حياة محتملـة كمثلية، مغايرة الجنس أو حتـى كراهبة. يبدو أني فكـرت فـي كل إمكانية محتملة، حتـى أني كذبت على نفسـي وحاولت التنكر لحقيقة مثليتي. حاولت أن ابدوا كالآخرين وان لا أقوم بما قد يتسبب بالضيق لأهلي.

لـم أتزوج. دخلـت الدير وأخبرت كل أفراد عائلتـي القريبة والبعيدة بأنني عزمت على أن أكون راهبة. اعتقدت انه بإمكاني بهذه الطريقة اختيار حياة هادئـة وخالية من إلحاح والـدَيّ علي بالزواج وإنجاب الأحفـاد لهما. أملت أن يدفعهـم اختاري لتكريس نفسـي للـه إلى هجر أحلامهم حولـي - فليس أن أكـون راهبة بالأمر الطبيعي؟ ويا للعجب! استشـاط والـداي غضبا وصراخا وبـكاءً وداهمتهـم خيبة الأمل. قالـوا لي أني مخطئة، بلا شـك، لإتباعي هذا

الطريق - طريق الله. من كان يظن أن هذه العائلة المؤمنة التقية التي تواظب على الذهاب إلى الكنيسة كل يومي جمعة وأحد قد تعتقد أن الرهبنة فعل جنوني. "وكنت مفكرة انو أنا المعقدة".

بعد شهرين من ادعائي للرهبنة استسلمت وخلعت قناعي، ووعدت نفسي بأن لا أتقمص هيئة غير هيئتي ونفسي. أدركت أن والدَيّ لا يريدان سعادتي، انما يريدان ان اعيش الحياة التي اختاراها لي، وأن ما افعله لن يكون أبدا كافيا بالنسبة لهما.

قررت الخروج من الخزانة. ظننت أن خروجي من الخزانة واختيار حياة مثلية قد تكون نهاية العالم، نهاية الحياة. كم كنت مخطئة! لا شك أن الفترة التي خرجت فيها من الخزانة كانت مخيفة ومحبطة، إلا أنها وفي نفس الوقت كانت بمثابة تحد عظيم لي وتجربة ثرية. ما زلت اذكر دموع أمي عندما أدركت أنها لم تخطأ وان ظنونها بان بنتها مختلفة اتضحت صحيحة، ككابوس نفخت فيه الحياة: ابنتها مثلية. ما زلت اذكر صراخ أبي والعنف الذي أشبعني به في اليوم الذي قررت به أن أعيش حياتي على انفراد واترك بيت أهلي.

استجمعت شجاعتي في ذلك اليوم وقررت إخبار كل من يجب إخباره بالموضوع. كانت أختي هي الأولى في الدور. وصلت إلى بيتها وقبل دخولي إليه وبوقوفي على عتبة الباب قلت لها " أنا مثلية." أصيبت بالصدمة، ومع ذلك طلبت مني خفض صوتي وإغلاق الباب ورائي لألا يسمع الجيران ذلك. بدأتُ في البكاء وطلبت منها أن تساعدني على إخبار أمي. وافقت. أصعب شيء على الإطلاق في خروجي من الخزانة كان إخبار أمي بالأمر. قمت بالتحضر نفسيا. اطلعت أصدقائي على قراري، وأخبرت أخي بالموضوع. توقعت أن

تتوجه أمي مباشرة إلى أخي لعله يثنيني عن ما أنا فيه. ما لم تكن تعرفه أمي هو أن أخي هو الذي دفعني إلى إخبارها.

في السابعة مساءا من نفس اليوم، ذهبت لاصطحاب أختي من بيتها، وفي الطريق اصطحبنا أمي وتوجهنا إلى مطعم في المدينة. اخترت أن اخبرها في المطعم وليس في البيت. ظننت انها ستضبط نفسها خوفا من ما قد يظنه الناس من حولها. بمجرد جلوسنا قالت أمي أنها تشعر بان هناك أمر ما غريب. اخترت إخبارها مباشرة. "أمي، صديقتي التي ترينها معي كل الوقت هي صاحبتي. أحبها كما تحبين أبي... إني أحب النساء." سكون رهيب كأنه استمر سنوات، بعده أجهشت أمي بالبكاء المر: "عرفت دائما انك مختلفة. ما ذنبي ليعاقبني الله على هذا النحو؟ لم أربيك على هذا. عليك أن تعرفي أن هذا أمر غير طبيعي." كنت في صدمة ارتجف لها كل جسمي. لم اعرف ماذا افعل. حاولت أن اشرح لها أنها أم رائعة وأنها ربتني خير تربية، إلا أنها استمرت في البكاء والحديث إلى نفسها. "ظننت أني سأقيم لك عرسا كبيرا. ماذا عن الفستان الذي اشتريته؟ ماذا سيقول الجيران..." استمر الأمر على هذا الحال ساعتين طوال، هدأت أمي في نهاية المطاف ورجعنا إلى البيت مع شعور مثقل، إلا انه وفي نفس الوقت أحسست بالارتياح لإخبارها أخيرا.

ما زلت اذكر كيف كنت أخاف الذهاب وحدي في عتمة الشارع. خشيت من كل صوت ومن كل حركة. شعرت بالتهديد المستمر من غضب العائلة والمجتمع الذي يرفض تقبل الآخر المختلف عنه. قللت من خروجي من البيت في تلك الفترة، وحاولت تجنب أي اتصال بأناس غرباء لا اعرفهم. تقوقعت خوفا وخشية. خفت من ظل نفسي. خفت عن كل هذه السنين التي عشتها لوحدي في السر وأبقيت نفسي في السر.

بفضل دعم أناس من حولي وحبهم لي، استطعت أن أمر بتلك الفترة والخروج منها أقوى من أي وقت مضى. لم يكن ذلك بالأمر السهل، لكنه يستحق الجهد. ***افخر بنفسي وبانجازاتي، فلولا ما فعلت ولولا قراري باتخاذ موقف لما كنت في المكان الذي أنا فيه الآن.*** تقبّلني أهلي وتقبلوا الحياة التي اخترتها لنفسي، دعمني أصدقائي وبقوا إلى جانبي كل الطريق، والاهم من كل هذا، تقبلت نفسي ولم أتخلى عن نفسي أو أنكر من أكون.

اجلس اليوم في بيتي مع شريكة حياتي، استرجع ذكريات الماضي، واعلم أني حتى لو استطعت إرجاع الماضي لما غيرت شيئا. كل ما أنا اليوم هو نتيجة لما مررت. أنا فخورة بنفسي وبما فعلت، ونعم أنا الآن سعيدة وأهلي كذلك.

قطع من "أحجية"

ولـدت لعائلة لبنانية، أمي من أصول أرمينيــة، كان جداها ممن نجو المذابح التي حصلت عام 1914، ووالدِي من أصل فلسطيني من حيفا. في عام 1948 هُجّـرت عائلتــه إلى لبنان، ولم يكن قد بلغ الأربعــين يوما على ولادته. جمع القدر بين أمي وأبي عن طريق صديق مشترك وتزوجا عام 1972. ولدتُ في عام 1977. سميتُ على اسم جدتي، ثُريّا.

لوالداي ثلاث بنات، أنا الوسطى، ولدت خلال الحرب الأهلية في لبنان. كانت تلـك أيام مروعة، لكننا صمدنا رغم الخوف والألـم الذي ما زال يأبى الرحيل عنا. قرر والدي الانتقال للعيش في السعودية عام 1980، كان له عمل هناك ولم يكن الوضع في لبنان جيد. وكانت هناك أيضا قضية المسـيحي والمسـلم وكانت احتمالات مقتل إنسان على خلفية دينية عالية جدا. لذلك قام والدي بالانتقال بنا إلى جدّة.

اذكر أني ومنذ كنت طفلة، كنت أبدو وبلا شـك "حسن صبي"، أرى ذلك حتـى عندما انظر اليوم في صـور الطفولة، وناداني الجميـع بذلك. لم أفكر بالموضوع أبدا، لكني اذكر انبهاري بصديقة أمي الهندية، كانت امرأة جميلة للغاية. لها شعر حريري اسود وطويل، عيون سوداء واسعة وفم ممتلئ. اذكر كيف كانت تغمرني السـعادة عند رؤية هذه المرأة، كنت في الخامسة من عمري. لا أزال أذكر حينما شـاهدنا يوما ما فيلما مع أمي وأبي، ظهر مشـهد فيـه يقبل الرجـل المرأة، كنت أتخيل نفســي مكان الرجل اقبّـل المرأة. مرة أخرى، لم اعر للأمر اهتماما.

أعادنـا والدي عام 1985 إلى لبنان بعد أن اشـترى منزلا في منطقة ليسـت ببعيــدة عن بيروت، وبقــي هو في جدّة. كنت ابلـغ الثامنة من عمري في ذلك الحين، وبدأت اشـعر فـي انجذابي المسـتمر للفتيات. اعتدت أن اسـميه

حب أفلاطوني، الشعور العاطفي الخالص الطاهر. لم أكن على علم بأي من التسميات، وبالتأكيد لم تصل إلى مسامعي كلمة "مثليّة". أول مرة سمعت فيها هذه الكلمة كانت عندما كنت في الحادية عشرة من عمري. كنت في المدرسة، كنت استهوي فتاة تكبرني بسنتين. كنت قد كتبت لها رسالة اخبرها برغبتي في لقائها والتعرف عليها. بعثت الرسالة مع صبي اعتاد ركوب الحافلة نفسها. في اليوم التالي، تلقيت رسالة منها تطلب مني موعدا للقائها. كان هذا أسعد يوم في حياتي، كنت في غاية التوتر لدرجة إني قمت باصطحاب أفضل صديق لي معي. وقفت هناك، ارتجف، وانتظر قدومها عبر الرواق لمقابلتي. حرصت على ارتداء ملابس لائقة، فلم يكن لدينا زيا موحدا في تلك المدرسة. مر لقائنا على ما يرام وأصبحنا صديقتان.

لكنني صادفت بعد ذلك بعض المشاكل، فقد بدا الأطفال في المدرسة ينعتونني 'بالسحاقية' وينظرون إلي باشمئزاز. لم أكن أعرف ما تعنيه هذه الكلمة، ظننت أنها نوع من المذمة أو مسبة ما، وآلمني ذلك كثيرا. وفي احد الأيام دعتني مديرة المدرسة إلى مكتبها مع أختي الكبرى، وسألتني ما إذا كنت حقا مثليه. لم أعرف كيف أرد. أتذكر كيف غضبَت أختي مني، وحفظت لنفسها حق استخدام هذه الحادثة متى شاءت ضدي، ولوحت بذلك، متى شاءت، مهددة بأنها سوف تخبر والداي. ارهبني ذلك حتى العظام. كان ذلك عندما كنت 'اعرف' أني مثليه لكني أخفيت الأمر.

منذ تلك الحادثة، حرصت على أن لا ينعتني احد "بالسحاقية" مرة أخرى أبدا، أنها كلمة مؤلمة تحمل الكثير من الأذى معها. إن تبين الأمر لوالداي لكرهوني مدى الحياة، وهذه فكرة لا أقوى على تحملها. طوّلت شعري، ارتديت وتصرفت كفتاة. ليس لأنني لم أرى نفسي كفتاة، وإنما كنت حسن صبي، لذا اضطررت إلى تغيير نفسي.

كنـــت قد اقتربت من أعوام مراهقتي في تلك المرحلة وكنت أصادق فتيات مــن الحــي. كانت هذه الفتيات ســطحية، دائمة الحديث عن الأولاد وســبل الحصول على اهتمام احدهم. بالنسبة لي، كل ذلك كان هراء. في أعماقي، كنت لا أزال انجذب 'أفلاطونيا' للفتيات من دون أن املك القدرة على التعبير عنه أو أن أكون نفســي أو حتى تقاســم أو مشاركة ذلك مع أي شخص آخر فدفنت نفســي في الدراسة. كان ذلك العذر المثالي، أعطيه للناس إن سألوني عن أســباب عدم وجود "صاحب" في حياتــي. لا تفهموني خطأ، فقد حاولت مصاحبــة الصبيان، إلا أن ذلــك كان أحمق ما قمت به. أتذكر صبي واحد، اســمه شادي، كان على استعداد لفعل أي شيء آمره به. كان يهوى مشاهدة القمر معي بينما يمســك بيدي، في حين كنت اشرد بأفكاري وأفكر في فتاة معيّنة من المدرسة.

ببــدء دراســتي الجامعية فقــط، بدأت اشــعر بالتحرر من بعــض القيود التي كبلتنــي. كنت ما زلت أتنكر لمثليتي، لكنني ســمحت لنفســي اســتلطاف الفتيات والإعجاب بهن والغرق بأحلام يقظة ممتعة حولهن. لم أكن أعلم أن أيامي الجامعية ستغير حياتي للأبد.

فــي عــام 1997 بينما كنت في انتظار دوري للتســجيل للفصل الدراســي الجديــد، التقيت بفتــاة تدعى زينه. اندمجنــا أنا وهي على الفــور وأصبحنا صديقتــان حميمتان. كنا نقضــي كامل وقتنا معا، وبمــا أن منزلها كان قريبا فكنا نتجول أو ندرس معا ونتحدث كثيرا حول مختلف الأمور. سألتني فــي احد الأيام عــن رأيي في المثليّة الجنســية، كانت هذه المــرة الأولى على الإطــلاق في حياتي أســمع بهذه الكلمة خارج مراجع علــم النفس، وأول مرة يطلب شــخص مــا أن يعرف رأيي بهــا. كانت هذه قضية فــي غاية الجدية بالنسبة لي. كان ردي بسيطا وصادقا؛ ليس لدي شيء ضدهم، هم بشر مثلي

ولا املك الحق بالحكم عليهم. بطريقة أو بأخرى، مع نطقي تلك الكلمات، شعرت بالارتياح، بل كان ذلك بمثابة صخرة أزيلت من على صدري

في يوم من الأيام، كنت قد وصلت إلى الفصل الدراسي يغلبني الشعور بالضيق لانشغالي في بعض المسائل العائلية. كانت زينة هناك من اجلي، كما كانت دائما، واقترحت علي الذهاب معها إلى بيتها لكي يكون لي بعض الوقت مع نفسي، إذا رغبت في ذلك، فقبلت. قدمت لي القهوة – التي أدمن عليها- وحاولت مواساتي. كل ما فعلت هو عناقي وإذ بتيار كهربائي قد سرى في جسدي كله. أخافني ذلك بعض الشيء، وكان مع ذلك شعورا رائعا، لم أقم بمحاربته. تحول العناق إلى قبلة، والقبلة تحولت إلى لمسات. بتوقفنا شعرنا بالحرج على حد سواء، وغادرنا مسرعات. كان عمري عشرين عاما عندما اعترفت لنفسي بأنني مثليه.

كان لي الدين عقبة آنذاك، كنت "مسيحية ملتزمة"؛ حضرت فصول دراسة الإنجيل، وكنت جزءا من مجموعة الحياة الروحية في الجامعة، شاركت في برامج تدريبية للقيادة الشابة، وكنت عضوه في جوقة دينية. المثليّة كانت خطيئة، ووددت للتكفير لله عن هذه الذنوب، فقررت الذهاب إلى القس في الحرم الجامعي والتحدث معه. قلت له كيف أعتقد أني ارتكبت ذنبا، وباني بحاجة إلى الجلوس معه للصلاة ، أردت أن توضع الأمور في نصابها مع الله، لكن رده كان قاسيا. منذ ذلك الحين وبسبب سلوك "أخواتي و إخواني" في المسيح قررت أن لا أؤمن بالله، فان لم يستطع أولاده المؤمنين أن يتسامحوا معي، فلا بد انه لن يغفر لي. وفوق كل هذا، تم خفض مبلغ المساعدة المالية التي كنت أحصل عليها من 70 ٪ إلى 50 ٪ ، مبلغ لم أكن قادرة على دفعه، فلم يكن أجري يغطي الرسوم الدراسية.

كنــت بمفردي. لم أســتطع أن أخبر عائلتي بأنه لم يعـد هناك لدي "إخوة وأخــوات" في المســيح. كنت اعتقد أننــي المثليّة الوحيدة فــي لبنان. كنت أعرف أن هناك آخرين خارج لبنان وبالتالي بدأت في اســتخدام مختلف غرف الدردشة للقاء الفتيات اللاتي تشاركني ميولي. عثرت على الكثير من الفتيات، لكن ولســوء الحظ، عطشــي لله لم ينطفئ وبقيت حاجتي لمعرفة إذا ما كان متصالحــا معي بدون جواب. قد يبدو ذلــك مضحكا للبعض، إلا أن ذلك كان قد أدى إلى إحباطي المستمر.

التقيــت لاحقــا بمثليات كثيرة مــن لبنان، البعض يكبرنــي والبعض الآخر يصغرني ســنا. حتى أنني كنت جزءا من مجموعة مكاتبات بريدية كبيرة آنــذاك والتــي كانــت تســمى GayLebanon. كنا معتادات علــى اللقاء والخروج معا؛ شــلة كبيرة من 30 شــخصا أو نحو ذلك. إلا أن الشعور بالفراغ الداخلــي أبى أن يتركني، علــى الرغم من كوني محاطة بالعديد من الناس الذي يجمعني بهم الكثير من الأمور المشتركة.

أجبرني الخواء الذي شعرت به في داخلي، إلى جانب تراكم الصعوبات المالية، على ترك دراستي الجامعية، وقادني إلى حياة عربدة ولهو؛ العمل في الملاهي الليلية، الســهر كل ليلة، الشرب حتى السكر والنوم طوال النهار. حاولت ملء وقتي كما يفعل الجميع، إلا أن الخواء الداخلي رفض الاندحار. شيئا ما كان مفقودا، ومع مرور الوقت وتراكم هموم الحياة ومشاغلها، كنت قد نسيت ما سبب الفراغ الذي أحسسته منذ البداية.

في تلــك الفترة، كان مثليي ومثليات الجنس يخضعــون لمراقبة قوات الأمن الداخلــي في لبنان؛ اعتقل بعضهم وكنا خائفين أن نكون على رؤيا من احد. كان مظهري الخارجي، الذي يدل على المثليّة، يشــكل لي مصدر قلق إضافي:

شـعر قصير، سـروالا من الجينـز، قميصا ابيضا وحذاءا عسـكريا. كان من المسـتحيل عدم الانتباه إلي. فأخافني الأمر، خاصة أن شقيقتي الصغرى كان رفيقتي في كل شيء تقريبا، ولم أرد أن يلحق بها أي ضرر. لذلك تواريت عن الأنظـار. في ذلك الوقت، في عـام 1999-2000 بدأت جمعية "حلم" كناد تحت اسـم حريات خاصة من قبل مجموعة مـن أصدقائي. ولا بد لي هنا أن أعترف باني كنت خائفة من الانضمام إليهم، فقد عقدت جميع الاجتماعات في سـرية تامـة. إضافة إلى ذلك خوفي على سـمعة شـقيقتي - الحياة في المجتمع الشرقي تطلبت مني التقيد بقواعده.

كان "للخروج من الخزانة"، للاعتراف بمثليتي للعلن، ثمنا باهظا. فقد فقدت 'إيماني' ، وفقدت أصدقائي ودراستي وفقدت وظائف عديدة. في مجتمع مثل مجتمعنا، حيث تحدد ماهية المرأة بمدى كونها زوجة وأما صالحة وربة منزل جيـدة، وحيث يكون الرجـل رجلا فقط وفقا لعدد المرات التي اسـتخدم فيه "أداته"، تعاني المثليّة الكثير. اسمحوا لي بالإيضاح عبر المثال التالي:

تعرف عائلتي باني مثليّـة الجنس، ولكنهم دائمي المحاولة بإقناعي بأنه من الأفضل أن لا أكون كذلك، لأنـه خيار بين تناول الخيار أو البندورة. يدأبون علـى القول بأنني بحاجة إلى رجـل ليحميني، وأولاد ليعتنوا بي عندما أطعن في السـن، أو أن لا مشـكلة عندهم مع مثليتي الجنسية، ولكن لا ينبغي لي أن أتصرف كمثليّة أو اظهر بمظهر المثليات. بعبارة أخرى، علي أن أطول شعري، أن أضـع المكياج وارتدي الملابـس الأنثوية. عندما كنت أصغر سـنا تمردت، فعلت ما سـرني وما وددت. حتى إنني مررت بأوقات عصيبة في احد الفنادق الكبيرة التي كنت أعمل فيها وفقدت وظيفة أخرى لمظهري المثلي. لكنني لم أكترث آنذاك. على الرغم من أنني أكره الاعتراف بذلك، عرفت أني بحاجة إلى تغيير مظهري من أجل العثور على عمل من شأنه أن يعيلني.

إن كنتم تتساءلون ما حدث للخواء الذي كان في داخلي، الجواب بسيط: بعد سنوات كثيرة من تجاهلي لله، وحتى رفضي له تماما وبعد أسئلة كثيرة كنت قد سألتها، أدركت حقيقة واحدة بسيطة: فالجواب كان أمامي كل الوقت. إن الله هو الإجابة على جميع أسئلتي واحتياجاتي. لست بحاجة للبحث عنه في الناس أو الأماكن أو الأشياء، فهو كان وما زال معي. كنت قد فقدت إيماني به ولم افقده هو أبدا. وتذكرت نص مهم جدا من الكتاب المقدس، ساعدني على إدراك أن الله لا يزال يحبني كيفما كنت. " لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا 3:16). هناك كانت... الحقيقة البسيطة: طالما أؤمن به، فلي الحياة الأبدية، لأن الله يحب العالم كله. لا إشارة في أي مكان إلى أن الله لا يحب مثليي الجنس أو السود أو أي 'أقلية' أخرى. يحبني الله كما أنا - مثليه.

عندما سُئلت إن كنت ارغب في كتابة قصتي لمشاركتها معكن، جعلني ذلك القي نظرة على حياتي، التي لم أفكر فيها حتى هذه اللحظة. هل تستحق حقا الكتابة؟ من أنا لأحدث بقصتي؟ هل يهم ذلك أحدا؟ أي فرق قد تحدث؟ عندها فهمت؛ نعم! إن قصتي مهمة، لكل منا شيء تضيفه إلى هذا العالم، كل واحدة منا قطعة من أحجية كبير، مهما اعتقدنا بأننا صغيرات الحجم فلنا ما نجلبه إلى هذا العالم. فلا يمكن للأحجية أن تكتمل من دون واحدة أو واحد منا.

صوت من تحرري الجنسي

صوت

نساء فلسطينيات مثليات

ASWAT–Paleslinian Gay Women

تحرري الجنسي

أمران تسببا بإعاقة نموي الجنسي: حياتي وعدم اهتمامي بالانترنت. كنت أعيش حياة مرفهة ومحمية في الخليج، إلى أن عدت إلى بلادي نتيجة للتغيرات السياسية في المنطقة واندلاع الحرب. كأحد ضحايا حرب الخليج في الكويت، واضطراري للتعامل مع فقدان أحد والدي بسببها، والتغيير الكامل في نمط حياتي، انشغلت في معايشة التغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية الهائلة التي جدت علي و لم أهتم بجسدي ولا جنسانيتي.

كنت أتعلم كيفية التكيف لمعايير ثقافية وتربوية جديدة بالإضافة إلى التغير في استخدام اللغة من الانجليزية الى العربية كالغة الاساسية. أدى ذلك الى انطلاقي المباشر من عامي الثاني عشر إلى سن العشرين، مارة عن الكثير من المراحل بينهما. كانت دائما ما أُمتَدَحُ لاتزاني، لنضجي، لهمتي العالية ولآدابي الرفيعة، إلا أنني لم أُمنح أبداً امتيازات البالغين. تعلمت الكثير خلال هذه السنوات عن ما تحتاج أن تعرفه المرأة كأم و مربية منزل، ولكني لم أتعلم عن ماهية المرأة. إنني حقا لم أفكر في البنين أو في البنات حينها، فكما ذكرت سابقا، كنت منشغلةً في صراعي للبقاء.

لطالما ظننت أن جسد المرأة، تضاريسها، سيقانها، صدرها، ذراعيها، خصرها وبطنها، كل ما فيها أجمل من جسد الرجل، بل وعرفت دائما إنني أفضل الأجساد ذات الهيئة الروبينية؛ جذبني فن روبين في نساءه العاريات وشبه العاريات وفي إباحيته المرمزة. إلا أن هذا ابعد ما قد وصلت إليه. كانت الأجساد بالنسبة لي تعبير عن الجماليات والفن وما تمثله، وليس أبدا تعبيرا عن جنسانية ما. لم يكن لدي وقتا بين الطبخ والتنظيف والدراسة للتفكير في مثل هذه الأمور، كانت الحياة أكثر إلحاحا.

كنت في عامي الثامن عشر عندما بدأت في أول علاقة لي، كانت مع

شـاب يبلغ الاثنتان والعشرين سنة، التقينا في الجامعة، كانت قصتنا ككل القصص التقليدية المملة للقاء فتاة وشـاب. اسـتمرت هـذه العلاقة ما يقارب الأربع سـنوات ونصف وانتهت بـي عروس هاربة مثـل جوليـة روبرتز في فلمها "Runaway Bride"! إلا أن هذه العلاقة قد أيقظت بي صحوة جنسية بطيئـة، لا يعود ذلك لمارسـتنا الجنس الأخـاذ، وإنما لبدئي التشـكيك في المحرمات الجنسية، وتحطيمي لحاجز الحياء والعار المرافق للجنس.

انتمي إلى أسـرة مسـلمة، تقليديـة ومحافظـة، تقدمية في بعض المسـائل، ومتشـددة في أخرى، مع جذور عميقة من المفاهيم والعادات والثقافة، خاصة بما مسـألة الـزواج والجنس. احتجـت للكثير من الوقت لتفكيـك الكثير من الموروثـات الاجتماعية التي نشـأت عليهـا وإعادة بناء مواقفي الجنسـية من جسدي، عذريتي ورغباتي الجنسية.

اسـتغرقني"الخروج" عن عذريتي و عن جنسانيتي ما يقارب الثماني سنوات، لم أكن في هذه السـنوات بالقديسة، أو بالخجولة، أو بالساذجة البريئة، وإنما ببسـاطة كنت متكتمة. في تلك السـنوات الثماني جربت، تلاعبت، وكان لـي العديد مـن اللقاءات العابرة مع رجال ونسـاء على حد سـواء. ثم التقيت بمجموعة من الأشـخاص المنفتحين حول حياتهم ونشـاطهم الجنسي وحول جنسانيتهم، الأمر الذي ساعدني على التغلب على عاري الجنسي.

لم اعد على حالتي السابقة من الشعور بالحياء والخزي من ممارساتي الجنسية. لـم أعـد من الأقليـة، انضممت إلـى صفوف العديد من الناشـطين جنسـيا والمنفتحين من الذين يتحدثون حول ذلك، منهم مثلي الجنس، مغايري الجنس وكل ما يقع بينهما.

في نظر مجتمعينا و قيَمه أنا لست إلا "عاهرة قذرة" مما جعلني أتسأل عن قيمتي في هذا المجتمع لفترة طويلة. أما اليوم، فقد تخلصت من هذه الرؤية الضيقة للقيمة الذاتية. فالشرف لا يقاس بما يتواجد بين ساقي الإنسان.

كان لقاء الناس الحقيقيين وجها لوجه، التحدث معهم، التعارف، المزاح، هو ما ساعدني على الخروج من قوقعتي، وليس الانترنت. كما قلت من قبل، لست والانترنت بالأصدقاء. لم يكن لدي الوقت لأكتشف نفسي بهذة الوسيلة، وان وُجِد الوقت لم يكن لدي الصبر على العاب وأكاذيب التشات. على الرغم من معرفتي عن العديد من الأشخاص ممن يجدون في الإنترنت خلاصهم، يتعرفون على سبل العالم وطرقه، أو يلتقون بأناس آخرين، ويستكشفون جنسانيتهم وما الى ذلك، كنت أعرف أن هذا الحل ليس لي. أنا على عكسهم، أفضل الوجوه الحقيقية والأصوات الحقيقية، وليس الكلمات المطبوعة على شاشة الحاسوب، المختبئة خلف طبقات وطبقات من الأسلاك، والبايتات والشاشات. و هذا يعني الكثير من العناء و الوقت لتعرف على نساء مثليات.

أصعب جزء في مسيرتي كان تقبل نفسي كمخلوق جنسي خالي من الشعور بالعار والذنب والخجل لأني لم اعد تلك العذراء الغير ممسوسة أو الزجاج الغير مخدوش، يمكنني القول أن ذلك كان أصعب من "خروجي" وإشهار مثليتي. أتت ممارسة الجنس مع النساء بشكل طبيعي كجزء من تجربتي، فقد كان ذلك أمرا أردت تجربته وتمتعت به. لم تشغلني حقيقة كونهن نساء بتاتا.

كنـــت في البداية مغايرة الجنس، ثم أصبحت بعد ذلك ذات ميول جنســـي مزدوج، واليوم مع فقداني أية رغبة في ممارســـة الجنس مع الرجال أُدعى بالمثلية، إلا أن هذا قد يتغير أيضا. في نهاية المطاف لا شأن لأحد بما افعل في سريري ومع من افعل ذلك.

سياسة آخروية وسياسة الآخرين بنظر مثليّة فلسطينية

معظم الأزواج، سواء أكانوا من المثليين أو من مغايري الجنس، أو سوى ذلك، لديهم قصة متميّزة عن الطريقة التي بدأت علاقتهم بها. فلكلّ شخص ذكرياته أو ذكرياتها حول من أقدم على الخطوة الأولى ومتى، مَن بدأ بالمغازلة وكيف شعر في المرة الأولى ولماذا. حين قرّرنا أنا وصديقاتي الكتابة عن سيرورة تأسيس أصوات (نساء فلسطينيات مثليات)، اكتشفنا أنه كانت هناك تسعة تعليلات مختلفة بشأن كيفية حصول ذلك. وعلى الرغم من وجود تباينات بين كل واحدة منا في استعادة الذكريات، فقد تذكّرنا واتفقنا على أنّه كانت هناك أحداث عينية أدّت دورًا حاسمًا في تأسيس أصوات.

ليس غريبًا أن تكون تلك هي المسألة! فقد كانت التجربة هائلة، مكثّفة ومتميّزة جدًا ومؤثّرة لدى جميع النساء اللاتي شاركن في السيرورة التي انتهت إلى تأسيس المجموعة.

ادّعيت لفترة طويلة بقوّة أنّ الاجتماع الأول الذي عقدته المجموعة كان خلال الصيف. أذكر أنّني شعرت بالحر وكنت أرتدي بنطالا قصيرًا وقميصًا دون أكمام. وهكذا، فبالنسبة إليّ كان الاجتماع في الصيف بالتأكيد. ولكن على أثر عدد من النقاشات ومحاولات استعادة عدد من الأوضاع والأحداث اللافتة التي وقعت خلال ذلك اليوم، تذكّرت أنّ الطقس كان ماطرًا وأنّ قدمي وصندل الأصبع تبللا حين رافقت النساء اللاتي جئن إلى الاجتماع من القدس، إلى سيّارتهنّ في موقف السيارات.

من هنا، فإنّ الكتابة بشكل واضح وسلس عن تسلسل الأحداث التي قادت إلى تأسيس أصوات والنشاطات التي قامت بها، تشكّل مهمّة صعبة!

ولكـــن، حين قمت بدراســـة قصة كل واحدة من النســـاء، وجدت أنّه كانت لدينا جميعًا الدافعية نفسها خلف تأسيس المجموعة. فكلّنا كنّا نعي الطموح والحاجة الماسة إلى مكان يحتضن جميع جوانب هويّتنا. مكان يكون بمقدوره التشـجيع على الاختلاف الجندري، العرقي والجنسـي. مـكان لا يجبرنا على التكتّم، الشرح، النضال، التنازل أو الاعتذار على جزء من كينونتنا.

نحن، كشـاذّات عن معايير العالم المغاير جنسـيًا، نساء في مجتمع شوفيني، نسـاء عربيات فـي "دولة اليهود" ، كنّـا مطالَبات، في العديـد من الأحيان، بالتنـازل وبإهمال جزء من هويّتنا كي نظلّ مقبولات كطبيعيات. في تلك النقطـة الزمنية أيقنّا أننا لا نريد مواصلة التفاوض على هويّتنا. وقرّرنا خلق مكان يمكنه توفير حالة من التعايش بين مختلف جوانب هويتنا.

إنّني أعتبر السيرورة التي انتهت إلى تأسيس أصوات سيرورة مؤثّرة وأمرًا لافتًا، يرسـم ابتسـامة على وجوهنا ويغمر قلوبنا بالسـعادة. مع ذلك، فلا أصوّرها كأهمّ عنصر في روايتنا. قبل كل شـيء، فقد جاءت أصوات لتوفّر مساحة آمنة وشـبكة مأمونة للنسـاء العربيات المثليات في إسـرائيل، وكذلك للنساء الفلسـطينيات فـي الضفة الغربية وقطـاع غزّة. في اعتقـادي، هذا هو المبدأ الأسـاس الأهم من خلف نشاطاتنا. فقد شكّل قوّة دافعة منذ البداية، ولا يزال صداه يتردّد لدينا في كلّ لحظة.

في هذه المرحلة، أتفادى عن قصد اسـتخدام مصطلح فلسطينيات بخصوص النسـاء العربيات في إسرائيل، لأن ليس كل امرأة عربية في إسرائيل تعرّف نفسـها بأنها فلسطينية. محو الهوية الفلسـطينية في إسرائيل كان مشروعًا معلنًا أطلقته الدولة الإسـرائيلية، التي تصنّف الفلسطينيين في إسرائيل على أنهـم غير يهـود، وأقليات دينية وإثنيـة. لذلك، فمن غيـر المفاجئ أن يكون العديدون من العرب في إسـرائيل لا يعرّفون أنفسـهم كفلسطينيين. إن من يصرّحون عن أنفسـهم بأنّهم فلسـطينيون يفعلون ذلك كمقولة سياسـية موجّهة نحو دولة إسـرائيل. هـذه الهوية الذاتية تتجـاوز التعبير عن الوعي

السياسي بمعنى أنها توفر بنية لمعارضة القمع الذي تمارسه دولة إسرائيل. إنّ حضور مثل هذه الهوية بحدّ ذاتها يعكس معارضة واحتجاجًا ضد محاولات شطب الهوية الفلسطينية. إن قدرة مجموعات فلسطينية معيّنة من العرب في إسرائيل على تعريف أنفسهم كفلسطينيين هو في معظم الحالات نتيجة مرافقة لخلفيات اجتماعية/اقتصادية لدى طبقات وسطى/عليا، وهذا بالاضافة إلى الانخراط في مجموعات أكاديمية ومثقّفة.

إنّ والدي ووالدتي اللذين ولدا في فلسطين قبل إقامة الدولة الإسرائيلية لن يعرّفا نفسيهما كفلسطينيين أبدًا. إنّهما جزء من جيل تعلّم الخوف، وافق وتقبّل التعريف "عرب إسرائيليون"، وتعلم تمييز نفسه وفصلها عن إخوته وأقربائه في المناطق المحتلة. قبل حوالي عقد من الزمن رافقت والدتي إلى فحوصات طبية في المستشفى. حين كنت أعبّئ استمارة الفحص، تطلّب ذلك تسجيل اسم البلاد التي ولدت فيها والدتي. بشكل تلقائيّ، كتبت فلسطين لأنّها ولدت بالفعل عام 1936، لكن ذلك أدخل والدتي في حالة من الهلع وصرخت عليّ بأنّني مجنونة. فقد خافت من أن يسبّب هذا الأمر مشاكل لها، فقامت بشطبها واستبدالها بـ "إسرائيل".

معظم النساء اللاتي شاركن في تأسيس أصوات هنّ أكاديميات واعيات سياسيًا ذوات خلفيات من طبقة وسطى. النساء اللاتي جئن للمشاركة مع بدء انطلاق وفعاليات أصوات كنّ متحفّظات من التعريف "فلسطينيات"، وغير قادرات على التماثل معه. عدد منهنّ بالكاد تمكنّ من إكمال جملة بالعربية من دون استخدام كلمات عبرية، بعضهنّ عرّفن أنفسهنّ كعربيات إسرائيليات، وكانت إحداهن متطوعة في مشروع الخدمة الوطنية الإسرائيلية. قدرة الإطار على تقبّل واحتواء نساء مختلفات ذوات هويّات سياسية مختلفة إلى هذا الحد، دون اشتراطات وقيود، هو أهمّ ما حدث! بهذه الطريقة نجحنا في المحافظة على المبدأ الأساس الذي تقوم عليه أصوات.

هويّاتنا وتعريفنا لأنفسنا لم تنشأ من فراغ، بل تطوّرت نتيجة لأحداث وتجارب

سياسية وتاريخية. حين كنت في الثامنة من عمري كنت أغنّي في جوقة المدرسة أناشيد على شرف يوم استقلال إسرائيل. أمام العلم الإسرائيلي، وسط سائر أفراد جوقة المدرسة، وحين كان معلّم الموسيقى منفعلاً من زيارة أحد الوزراء المدرسة، كنت أغنّي:

في عيد استقلال بلادي غـرّد الطير الشـادي
عمّت الفرحـة البلـدان حتى السـهل والـوادي

لـم أكن أعي أنّ ذلك اليوم هو يوم "النكبة" خاصتي. لا أزال أشعر بالصدمة فـي كل مرة تلوح فيها هذه الذكرى في عقلي، لأنّني أعي جيّدًا الأسـاليب الإسـتراتيجية التي كان يتمّ استخدامها لغرض محو الهوية الفلسطينية. لقد كان لهذه الأسـاليب أثر وواصلت تأثيرها لدى أقسام معيّنة من السكان العرب في إسرائيل.

أذكـر الاجتماع حين انضمّت (د) إلى أصوات، والطريقة التي تحدّثت بها عن نشاطاتها، عن رخصة السـلاح الناري وعن الخدمة الوطنيّة التي تؤدّيها. على الرغم من أنّنا شعرنا بالصدمة من كلماتها، فحالما بدأ النقاش عرفنا أنّ أصوات ستكون بيتًا يحتضن (د) ويحبّها.

أصوات هي مجموعـة ذات مواقف واضحة ضد الاحتلال، الاضطهاد والتمييز. وهي تنشـط من أجل مجتمع مدنيّ غير عنيف ذي حقوق وفرص متسـاوية لأفراده (اجتماعيًا، اقتصاديًا، سياسيًا جندريا وجنسيًا). أصوات لا تلزم النساء بتعريـف أنفسـهنّ بهذه الطريقة أو تلك، ولا تقوم بإقصاء نسـاء على أسـاس هويّاتهن السياسـية. كلّ امرأة عربية في إسرائيل و/أو فلسطينية من الضفة الغربيـة أو قطاع غزة تنتمي الى أقليات جنسـية أو جندريـة، تجد لها مكانًا في أصوات - دون فرق على خلفية الانتماء السياسـي، الدين، مستوى الدخل، التعليم، المظهر أو العمر. تهدف أصوات إلى توفير بديل داخل مكان نطالب به بالظهور، السلوك، التفكير والتحدّث وفقًا لقوانين واضحة ومسلمات اجتماعية،

مكان يفرض علينا مشاعر وهويّات لا ترتبط بنا.

أنا أؤمن بإمكانية صنع التغيير وبالحاجة في القيام بممارسات باسم الرغبة في التغيير. يمكن للتغيير أن يتحوّل إلى واقع على المدى البعيد فقط من خلال التربية في المدارس، المحاضرات، الورشات وصياغة نموذج يحتذى على الصعيد الشخصي ومن خلال تولّي القيادة. برأيي، إنّ وظيفة التربية تشكّل إحدى المهمّات التي يتوجّب على أصوات السعي إلى القيام بها. لا أعني التربية بمفهوم يجسّد مصطلحات ومفاهيم تشير إلى منظومات أخلاق أو عقيدة أخلاقية، لأنّ نسب مفاهيم أخلاقية إلى مصطلح التربية يجعلني أناقض بل وألغي الفرضية التي تقوم عليها أصوات. بالنسبة للمجتمع الذي نعيش فيه، من الخطأ أخلاقيًا أن تكون المرأة فعّالة جنسيًا أو جنسانيًا خارج المؤسّسة المغايرة للزواج. لا يقتصر دور أصوات التربوي على المجتمع العربي والفلسطيني، بل يجب أن يتعدّى ذلك كونيًا، خصوصًا وسط مجتمع مثليات/ مثليي الجنس، مغيّرات/ين، مزدوجات/ي، متحرّرات/ي وازدواجيات الجنس.

إنّ حضور أصوات ومجموعات ومنظمات ذات طروحات مشابهة في العالم، يشكل تحديًا لمعتقداتنا ومسلماتنا المتوارثة، ينعش ما فقدناه في وعينا، يجعلنا منفتحات على عالم لم نكن نعرفه وكنّا نخافه، ويكشفنا على أشياء جديدة. حضور أصوات يبشّر بتربية وبتغيير محتمل.

كوني مثلية فلسطينية فخورة أعمل في كلية التمريض في تل أبيب، وأعمل إلى جانب شريكة حياتي في نفس المستشفى، هي تجربة تربوية لكل فرد أصادفه. هكذا كان الوضع مع الطاقم الفلسطيني والطلاب الفلسطينيين الذين علمتهم، درّبتهم وعملت معهم. من الممكن أن تكون ناشطًا سياسيًا فلسطينيا فخورًا في دولة إسرائيل وفي مستشفى يقع في قلب تل أبيب. ومن الممكن أيضًا أن تكون فرداً جنسيًا أو مثليًا جنسيًا يلاقي التقدير والاحترام من الجميع. لقد كان الأمر تجربة تربوية للطاقم وللطلاب اليهود أيضًا. لقد

عرفوا أن وجود امرأة مثلية فلسطينية ليس مجرّد أسطورة شعبية، بل من الممكن أن تكون "خارج الخزانة" في المجتمع العربي وأن تظلّ على قيد الحياة. العرب هم ليسوا أولئك الذين ينظفون الدرجات أو، في أفضل الحالات، مَن يقدّمون الحمص، البطاطا المقلية والسلطة في مطاعم يافا وفي شمال إسرائيل. حتى حين لا أقوم بالتعبير عن آرائي وميولي، فإن أسلوب حياتي وحضوري يعرضان إمكانية لبديل، وهذا بحدّ ذاته يحثّ على التغيير.

أنا أؤمن بالتربية، النقاش والحوار. قبل حوالي ستّ سنوات خرجت أشرب القهوة مع امرأة يهودية لطيفه جدًا أعلنت عن نفسها أنها يسارية (مؤيّدة لحزب ميرتس) وأنها تؤيّد السلام وإقامة دولة فلسطينية. طلبنا القهوة وبدأنا نتحدّث. قالت: "أنا مؤيّدة لقيام دولة فلسطينية، هناك! نحن نعيش هنا وهم يعيشون هناك، في الجهة الأخرى من الجدار (جدار الفصل)". وواصلت حديثها: "أنا أؤيّد جدار الفصل. إنه جيد لدولة إسرائيل لأنه يمنع الإرهابيين من القدوم إلى تل أبيب والخضيرة ليفجّروا أنفسهم". وقالت أشياء أخرى كانت مكتوبة، منشورة وموزّعة على موقع وزارة الأمن. بالنسبة إليّ، جلست هناك، أصغيت وابتسمت لها. لم أشعر بالقلق حين قالت أمورًا مزعجة، لم أصرخ: "عنصرية" حين أدلت بمقولة عنصرية، وتفاديت القول إنّ شخصًا يعبّر عن آراء كآرائها، لا يمكنه الإعلان عن نفسه أنه يساريّ. ابتسمت لها وبدأت بطرح أسئلة عليها. سألتها: "هل تعرفين أين يمتدّ جدار الفصل؟". ردّت "لا". هل تعرفين كم يبعد جدار الفصل عن "الخطّ الأخضر"؟ كيف يتمّ ضمّ مناطق إلى دولة إسرائيل؟ القرى التي تم شطرها نصفين؟ كيف أنّ الجدار يفصل بين البيوت وبين الأراضي الزراعية؟ كيف أنها محاطة بمدخل واحد ومخرج واحد، ما يحوّلها إلى غيتو؟ ما هو طوله، ارتفاعه، عرضه وتكلفته؟ إضافة إلى عدد من الأسئلة الأخرى التي كان الجواب عليها كلّها "لا". من خلال مواصلة الابتسام لها قلت: "أنا متفاجئة منك، كامرأة لامعة ومتعلّمة! كطبيبة، إذا توجّه إليك أشخاص وعرضوا عليك حبّة دواء بادعاء أنها تشفي من السرطان، فهل كنت

ستأخذين حبّة الدواء وتعطينها لَمن تعالجينهم من غير طلب اختبارات، وثائق، أبحاث وسائر النتائج عن مفعول الحبّة؟ ألن تفحصي الفوائد قياسًا بالتكاليف، المفعول العلاجي مقابل الأعراض الجانبية ؟ ألن تجري أيّ فحص؟
هذه المرأة التي سنحتفل قريبًا بستّ سنوات من العلاقة الزوجية معا ، كان يتوجّب علي تهدئتها خلال النقاشات الساخنة مع أهلها حول حرب لبنان الثا نية. كنت أقول لها إنه لا يمكنها أن تشير بسبّابتها في كل الاتجاهات من خلال القول للأصدقاء والناس في العمل: أنت عنصري! ليس لأنها مخطئة في قول ذلك، بل لأنني أعتقد أنه حين يرمي المرء اتهامات على الشخص الذي يقف أمامه/ا، سيصبح من الأصعب جعل الآخر يصغي، وستزداد صعوبة تحقيق التغيير المطلوب. بطبيعة الحال، هناك نسبة معينة من الناس (والتي أفضّل الاعتقاد أنها أقلية) تحرّكها الكراهية الصّرفة والتي سترفض الإصغاء مهما حاولت، ولأي طريقة كانت لن تصغي سوى إلى روايتها الذاتية، سعيًا منها إلى تدمير كل ما هو "آخر" بالنسبة لها (والذي قد يكون اليوم هو العربي، غدًا العلماني وبعد غد المثليّ). حين أتحدّث عن التربية، النقاش والحوار، لا يشمل هذا أولئك المتشدّدين.
إنّ الممارسات المتعمّدة التي تبغي الفصل والترهيب، بالإضافة إلى اعتماد تربية تشدّد على التباين والاختلاف مهدت الطريق لخلق عنصرية وعنصريون الغير واعين إلى أحكامهم العنصرية، وكذلك الذين يجهلون وجودها بتاتا.

في مثل هذه الحالة، يشكّل التفاعل المكشوف والقريب أداة للتربية ولخلق ظروف جديدة. هناك فلسطينيون قد يدّعون أنه ليس من وظيفتنا تربية الآخرين وتعريفهم من نحن ومن نكون. اذا كان الحال كذالك، فلماذا نحن، مثليات/ مثليي الجنس، مغيّرات/يـن، مزدوجات/ي، متحررات/ي وازدواجيات الجنس، نسعى ونعمل لتثقيف ورفع وعي الأغلبية المغايرة جنسيًا عن هويات جنسية بديلة؟ لماذا يتوجّب عليّ عناء المشاركة في عدد من المحاضرات

والورشـــات، والتعرّض لأسـئلة تطفّلية عن حياتي الشخصية، كما لو كنت "فأر تجارب بالمختبر"؟ انني أؤمن أنه لا يجب التشـاجر على مسـألة مَن يفعل مــاذا، طالما أنّ النتيجة سـتعود عليّ بشــروط حياة أفضل. أنـــا أدرك أنني هو الشـخص الــذي يعاني في المجتمــع ان كان المصاب برهــاب المثلية، وان كان المصــاب بالعنصرية. وأنا من يرغب في خلــق التغيير، بحيث يمكنني تحقيق حياة أفضل، لذا وبالتاليّ فمن واجبي النشاط، النضال والتثقيف.

إحــدى أهمّ مبادرات أصــوات والقوس (القــوس من أجل التعددية الجنســية والجندرية في المجتمع الفلسطيني) داخل وخارج المجتمع الفلسطيني المعاصر، مشــروع التثقيف. يشــتمل المشــروع على ورشـــات ودورات لمعلّمــين، عاملين اجتماعيين، خبراء نفســيين، مستشـــارين تربويين، وخدمات استشارية حول قضايا مرتبطة بالمثلية الجنسية والاختلاف الجنسي.
إن هذا المشروع ذا صلة وضروريًا على الدوام لأن التربية والتغيير هما جزء من ســيرورة متواصلة . ونحن، الأشــخاص الذين نريد لمجتمعنا أن يكون متسامحًا ومؤيدًا للحقوق المتســاوية والحرية، لا يمكننا أبدًا القول إننا أنهينا عملنا وإننا تخلصنا من العنصرية ورهاب المثلية.
خلال أيلول 2008، باشرت أصوات و GALZ (مثليون ومثليات في زمبابوي) بجولــة لتجنيد تمويل في الولايات المتحدة. إحدى محاضراتنا التي عُقدت في قســم القانون التابــع لجامعة بيركلي، أعقبها نقاش لطيــف مع الطلاب. في نهاية النقاش، قامت ســيّدة كانت تجلس في الصفّ الأوّل، وقد نامت معظم فتــرة المحاضرة، بإعطاء ملاحظة. فقد اســتيقظت وصرخت: "لكننا في العام 2008، لا يوجد أية عنصرية أو رهاب مثليّ".
فكــرة أنّ العالم ورديّ هو أســوأ ما حصل لنا على مرّ الســنين. موكب الفخر المثليّ تحوّل إلى احتفال ملوّن لشــركات التسويق، والذي لا توجد له اي صلة بالنضال من أجل الحرية والمساواة، أو الحقّ في ألعيش حياة محترمة خالية من

الإذلال. إنّ فكرة الـ "كوير" تحوّلت إلى نظرية في الجامعات، لا يربطها شيء بالنضال ضد التمييز والاضطهاد. كانت الحركة المثلية ولا تزال، في نظري، حركة تحرّر أتت لتنشط ضد التمييز والإذلال، وتكافح من أجل التعددية، الحقوق المتساوية والعدالة الاجتماعية.

لقد خصّني الكون بهدايا رائعة. فقد واجهت تحدّي أن أكون امرأة في مجتمع ذكوريّ، عربية في "دولة اليهود" ومثلية في مجتمع مصاب برهاب المثلية. هذه الهدايا علمتني معنى كينونة الأقلية. تعلّمت حول الإلغاء الذي يقوم على هوية الفرد (أو المجموع) وما يتخلّله، ما هو الاضطهاد، وكيف أن ذلك يجرح الروح. بفضل هذه الهدايا، أدركت معنى التضامن مع "الآخر". ***تعلّمت كيف أربط ذهنيًا بين أشكال مختلفة من الاضطهاد (عرق، جندر، ميل جنسي وهلمجرا)، واستخدام قوة التفكير التأمّلي لديّ لغرض التقليل من أثر حالات الاضطهاد والعداء على حياتي.*** لا أزعم أن الربط ما بين أشكال مختلفة من الاضطهاد يتم فور إدراك الشخص أنه مثلي/ة. الربط الذهني بين أشكال مختلفة من الاضطهاد لا يحدث من تلقاء نفسه، بل إنّه سيرورة من التعلّم والفهم يجب الرغبة فيها والسعي خلفها. في معظم الحالات، تشتعل جذوة هذا البحث وسط حالات الألم والاهتياج الشعوري.

قلّما يحتاج الأفراد الذين يعيشون حياة مترفة ومريحة إلى التقصّي، الفهم، الربط والقيام بفعل لأجل التغيير. من يتفادون إجراء الربط الذهني بين أشكال مختلفة من الاضطهاد عليهم أن يسألوا أنفسهم عن العالم الذي يرغبون فيه لأنفسهم ولِمَن يحبّونهم، وما هي مسؤوليّتهم من أجل تحقيق الوصول إلى مثل هذا العالم.

كامرأة مثلية أسأل نفسي إذا ما كنت أريد تقبّل الأيديولوجيا القومجية، العسكرية والذكورية. في حالات لا تُحصى يلائم العديد من الأفراد أنفسهم للمجتمع الطاغي كي يكونوا "مقبولين"، حتى بثمن التناقض مع قيمهم

ومبادئهم الأساس. سؤالي هو: "لماذا لا يستطيع الفرد أن يكون مقبولا وتتمّ معاملته بمساواة من دون تحوّله إلى صاحب عقيدة عسكرية أو قومجية في هذا المجتمع؟ لماذا يجب القبول أصلاً بمجتمع يقوم على قيم عسكرية وقومجية؟

إنّ قبولي بمثل هذا المجتمع يعني أنّ عليّ الإذعان للأغلبية ولمنظومة معايير وقيم من دون مساءلة من يحتلون مواقع السلطة. الموافقة مع ما نظنّ أنه الصحيح وأخلاقي وكأنه حقيقة وهبها الله. بالطبع، فلو أذعنّا لمثل هذا المجتمع، سيتوجّب علينا الإذعان لهوية الأغلبية الغيرية، وعدم خلخلة سلطة الشخصيات الدينية التي تهدر دمنا، وشطب كل ما ناضلنا من أجله معًا – أن نكون مختلفين، لكن مستحقّون لحقوق وفرص متساوية. حقّنا في أن نكون متعدّدي الألوان ومختلفين عمّن سوانا!

أنا وشريكتي شاركنا في فيلم وثائقي بعنوان City of Borders. ويشارك في الفيلم أيضًا شاب مثليّ لطيف آخر اسمه آدم. لقد تعرّض آدم لاعتداء من قبل شاب متديّن متشدّد خلال مسيرة الفخر في القدس عام 2005. يقول آدم في الشهادة التي يقدّمها إنّه منذ حادث الطعن الذي تعرّض له، طرأ ارتفاع جديّ في وعيه السياسي، وصار ناشطًا من أجل المساواة في الحقوق ويناضل من أجل مجتمع ليبراليّ. آدم، وهو مستوطن، جاء إلى مسيرة الفخر خلال حرب لبنان الثانية (2006) وهو يرتدي قميصًا كُتب عليه "فخور[1] في الجيش الإسرائيلي" بألوان قوس قزح في حين كان يتشاجر مع ناشطات/ين مثليّات/ين آخرين، مدّعيا أنّه لا يوجد رابط بين النضال ضد الاحتلال وبين مسيرة الفخر! لقد نسي آدم معنى مسيرة الفخر وتحت أية ظروف وأسباب تمت. آدم نسي أنه موضع نفسه في تلك اللحظة كي يؤيّد الحبّ ويحتج ضد الكراهية والعنف. لقد نسي آدم!!!

أقوم بالمقارنة ذاتها في المجتمع الفلسطيني لغرض تعزيز فكرة "الآخروية" الجنسية. حين أجادل فلسطينيين في إسرائيل، أقوم بالربط ما بين مجتمعنا

1 بالعبرية تستخدم نفس الكلمة بمعنى مثلي وفخور.

الذي يعاني من الاضطهاد والتمييز، وبين تجربتي الشخصية كمختلفة جنسيًا، مـن خلال التأكيد على الحاجة في النضال من أجل الانكشـاف والشـرعية. خلال الورشات التي شاركت بها كمتطوّعة في مشروع التثقيف في أصوات، التقيتُ رجالا ونسـاء من طيف سياسـيّ، اجتماعي/اقتصادي، جغرافي وديني واسع. إلى جانب الحديث عن نفسي، وعن تجاربي الشخصية والعائليّة، حاولت أن أتواصل معهم مباشـرة في ما يخصّ الأسـاليب التي عايشوا فيها الاضطهاد والتمييـز كأقلية مذلولة. كنت أسـير إلى الوراء وإلى الامام لأرسـم صورة للحـالات المتوازية التي عايشـوها هم فـي حياتهم كأقليـة، والتجارب التي عايشتها أنا وغيري من المختلفين جنسيا.

لربما أنّني حالمة وأتوهّم خلق يوتوبيا (أو هكذا أخبروني)، وعلى الرغم من أنه لا يوجد ضرر يتخلّـل التوهّم، فإنني أؤمن أننا – المثليات، المثليين، مغيّري/ات الجنس والمتحرّرين/ات من الجنس- قادرون على إحضار رسـالة جديدة للعالم، رسـالة من الحبّ والتسـامح، وهما أمران يبدو أنّ عالمنا ينقصهما. نحن الذين جرّبنا على جلودنا تجارب الكراهية، الإلغاء، الاضطهاد والإهانة، نعرف أن رهاب المثلية هو شـكل من أشكال العنصرية. نحن نفهم معنى الحب، السعادة، التحرّر وتحقيق الذات. يجب أن نتخذ موقفًا ضد جميع أشـكال الاضطهاد، العنصرية، والكراهية، لأنـه حين نتوقّف عن القيام بذلك، فإنّنا سننشـرعن رُهاب المثلية والتمييز ضدّنا بشكل فاعل.

حـين كنت في حوالي العاشـرة مـن عمري، وحين كنت فـي الطريق من المدرسـة إلى البيت برفقة صديقة لي، قلتُ لها: "جيلنا سـيلعب دورًا حاسـمًا في المسـتقبل، وسوف يُذكر كجيل متميّز في التاريخ... ستكون لدينا القوّة لبناء العالم وتدميره". لقد شـعرتُ بمدى حماسة تلك الكلمات يومها، ولا أزال كذلـك اليوم، وأعرف أنني مـن بين الذين يريدون بنـاء عالم جديد. أفعل كل ما بوسـعي من أجل ضمان عالم أفضل لنفسـي وللآخرين، حتى لِمَن لا أتّفق معهم.

أريد أن أحبّ، أن أعيش وأن أكون سعيدة. أريد خوض التجارب المثيرة بدون أن أكون وسطيّة وجاهلة لمعاناة الناس، مثلما لا أريدهم أن يتجاهلوني. لا أريد أن أكره، أن أجرح.

قد تُسمع كلماتي على أنّها بعيدة الاحتمال ومثالية، لكنني أؤمن بها فعلا. علينا أن نطمح للعيش وفقًا لمقولة "سأفعل للآخر ما كنت سأحبّه لنفسي".

في السنوات الـ 14 الأخيرة، أعمل كممرّضة في حقل الأورام السرطانية وزراعة النخاع. وهي مهنة عسيرة ومنهكة جدًا. يسألونني، أحيانا، كيف استطعت البقاء في هذه المهنة ولا أزال ملتزمة نحو مرضاي. جوابي بسيط: "أنا أعامل المرضى بنفس الطريقة التي كنت أودّ أن أعامَل بها". إنها معادلة بسيطة وجيّدة لعيش مستقبلي أفضل.

سميرة سريّة